البلدان

اليعقوبي

بغداد

وإنما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا، وسرة الأرض، وذكرت بغداد لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها، سعة وكبراً وعمارةً، وكثرة مياه، وصحة هواء، ولأنه سكنها من أصناف الناس، وأهل الأمصار والكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية؛ وأثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة، ومتجر ومتصرف. فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا.

ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان، دجلة والفرات، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً، بأيسر السعي؛ حتى تكامل بها كل متجر، يحمل من المشرق والمغرب، من أرض الإسلام، وغير أرض الإسلام، فإنه يحمل إليها من الهند، والسند، والصين، والتبت، والترك، والديلم، والخزر، والحبشة، وسائر البلدان؛ حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها؛ ويكون مع ذلك أوجد وأمكن حتى كأنما سيقت إليها خيرات الأرض؛ وجمعت فيها ذخائر الدنيا؛ وتكاملت بها بركات العالم.

وهي مع هذا مدينة بني هاشم، ودار ملكهم، ومحل سلطانهم، لم يبتد بها أحد قبلهم، ولم يسكنها ملوك سواهم، ولأن سلفي كانوا القائمين بها وأحدهم تولى أمرها؛ ولها الاسم المشهور والذكر الذائع.

ثم هي وسط الدنيا، لأنها على ما أجمع عليه قول الحساب، وتضمنته كتب الأوائل من الحكماء في الإقليم الرابع، وهو الإقليم الأوسط، الذي يعتدل فيه الهواء، في جميع الأزمان والفصول؛ فيكون الحر بها شديداً في أيام القيظ، والبرد شديداً في أيام الشتاء ويعتدل الفصلان الخريف والربيع في أوقاتهما ويكون دخول الخريف إلى الشتاء، غير متباين الهواء؛ ودخول الربيع إلى الصيف غير متباين الهواء. وكذلك كل فصل ينتقل من هواء إلى هواء، ومن زمان إلى زمان. فلذلك اعتدل الهواء، وطاب الثرى، وعذب الماء، وزكت الأشجار، وطابت الثمار، وأخصبت الزروع، وكثرت الخيرات، وقرب مستنبط معينها وباعتدال الهواء، وطيب الثرى، وعذوبة الماء، حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم، حتى فضلوا الناس، في العلم، والفهم، والأدب، والنظر، والتمييز، والتجارات، والصناعات، والمكاسب، والحذق بكل مناظرة، وأحكام كل مهنة، وإتقان كل صناعة. فليس عالم أعلم من عالمهم؛ ولا أروى من روايتهم؛ ولا أجدل من متكلمهم؛ ولا أعرب من نحويهم؛ ولا أصح من قارئهم؛ ولا أمهر من متطببهم، ولا أحذق من مغنيهم؛ ولا ألطف من صانعهم؛ ولا أكتب من كاتبهم؛ ولا أبين من منطقهم؛ ولا أعبد من عابدهم؛

ولا أورع من زاهدهم؛ ولا أفقه من حاكمهم؛ ولا أخطب من خطيبهم، ولا أشعر من شاعرهم، ولا أفتك من ماجنهم.

و لم تكن بغداد مدينة في الأيام المتقدمة- أعني أيام الأكاسرة والأعاجم- وإنما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا. وذلك أن مدينة الأكاسرة التي خاروها من مدن العراق المدائن. وهي من بغداد على سبعة فراسخ؛ وبها إيوان كسرى أنوشروان. و لم يكن ببغداد إلا دير على موضع مصب الصراة إلى دجلة، الذي يقال له قرن الصراة. وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق، قائم بحاله إلى هذا الوقت. نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية.

و لم تكن أيضاً في أيام العرب، لما جاء الإسلام، لان العرب اختطت البصرة، والكوفة. فاختط الكوفة سعد بن أبي وقاص الزهري، في سنة سبع عشرة؛ وهو عامل عمر بن الخطاب. واختط البصرة عتبة بن غزوان المازني- مازن قيس- في سنة سبع عشرة؛ وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب.

واختطت العرب في هاتين المدينتين خططهما. إلا أن القوم جميعاً قد انتقل وجوههم، وجلتهم، ومياسير تجارهم، إلى بغداد. و لم يترل بنو أمية العراق، لأنهم كانوا نزولاً بالشأم. وكان معاوية بن أبي سفيان عامل الشأم، لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان بن عفان عشرين سنة؛ وكان يترل مدينة دمشق، وأهله معه. فلما غلب على الأمر، وصار إليه السلطان، جعل مترله وداره دمشق، التي بها كان سلطانه وأنصاره وشيعته ثم نزل بها ملوك بني أمية بعد معاوية. لأنهم بها نشأوا، لا يعرفون غيرها؛ ولا يميل إليهم إلا أهلها. فلما أفضت الخلافة إلى بني عم رسول الله، صلى الله عليه وآله، من ولد العباس بن عبد المطلب، عرفوا بحسن تمييزهم وصحة عقولهم، وكمال آرائهم، فضل العراق، وجلالتها، وسعتها، ووسطها للدنيا؛ وإنها ليست كالشأم الوبيئة الهواء الضيقة المنازل، الحزنة الأرض، المتصلة الطواعين، الجافية الأهل.

ولا كمصر المتغيرة الهواء، الكثيرة الوباء، التي إنما هي بين بحر رطب، عفن، كثير البخارات الرديئة، التي تولد الأدواء، وتفسد الغذاء، وبين الجبل اليابس الصلد، الذي ليبسه، وملوحته، وفساده، لا ينبت فيه خضر ولا ينفجر منه عين ماء.

ولا كأفريقية البعيدة عن جزيرة الإسلام، وعن بيت الله الحرام، الجافية الأهل، الكثيرة العدو، ولا كأرمينية النائية، الباردة، الصردة، الحزنة، التي يحيط بها الأعداء. ولا مثل الجبل كور الحزنة، الخشنة، المثلجة، دار الأكراد الغليظي الأكباد. ولا كأرض خراسان، الطاعنة في مشرق الشمس، التي يحيط بها من جميع أطرافها عدو كلب، ومحارب حرب. ولا كالحجاز النكدة المعاش، الضيقة المكسب، التي قوت أهلها من غيرها. وقد أنبأنا الله عز وجل في كتابه عن إبراهيم خليله، عليه السلام، فقال:" رب إني أسكنت من

ذريتي بواد غير ذي زرع". ولا كالتبت التي بفساد هوائها وغذائها، تغيرت ألوان أهلها، وصغرت أبدانهم، وتجعدت شعورهم.

فلما علموا أنها أفضل البلدان، نزلوها، مختارين لها، فنزل أبو العباس، أمير المؤمنين، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الكوفة، أول مرة. ثم انتقل إلى الأنبار، فبنى مدينة على شاطئ الفرات؛ وسماها الهاشمية. وتوفي أبو العباس رضه قبل أن يستتم المدينة. فلما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة وهو أيضاً عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بنى مدينة بين الكوفة والحيرة، سماها الهاشمية، وأقام بها مدة، إلى أن عزم على توجيه ابنه محمد المهدي لغزو الصقالبة، في سنة أربعين ومائة؛ فصار إلى بغداد، فوقف بها وقال: ما اسم هذا الموضع؟ قيل له: بغداد. قال: هذه والله المدينة التي أعلمني أبي محمد بن علي أني أبنيها، وأنزلها، وينزلها ولدي من بعدي. ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والإسلام، حتى يتم تدبير الله لي وحكمه فيَّ، وتصح الروايات، وتبين الدلائل والعلامات، وإلا فجزيرة بين دجلة والفرات؛ دجلة شرقيها، والفرات غربيها؛ مشرعة للدنيا، كل ما يأتي في دجلة، من واسط، والبصرة، والأبلة، والأهواز، وفارس، وعمان واليمامة، والبحرين، وما يتصل بذلك فإليها ترقى، وبها ترسى.

وكذلك ما يأتي من الموصل، وديار ربيعة، وآذربيجان، وأرمينية، مما يحمل في السفن في دجلة. وما يأتي من ديار مضر والرقة، والشأم، والثغور، ومصر، والمغرب، مما يحمل في السفن في الفرات، فيها يحتط وينزل، ومدرجة أهل الجبل وأصبهان وكور خراسان. فالحمد لله الذي ذخرها لي، وأغفل عنها كل من تقدمني، والله لأبنينها، ثم أسكنها أيام حياتي، ويسكنها ولدي من بعدي؛ ثم لتكونن أعمر مدينة في الأرض، ثم لأبنين بعدها أربع مدن لا تخرب واحدة منهن أبداً فبناها وهي: الرافقة و لم يسمها، وبني ملطية، وبنى المصيصة، وبنىالمنصورة بالسند.

ثم وجه في إحضار المهندسين، وأهل المعرفة بالبناء، والعلم بالذرع والمساحة، وقسمة الأرضين، حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر. وأحضر البنائين، والفعلة، والصناع من النجارين، والحدادين، والحفارين، فلما اجتمعوا وتكاملوا، أجرى عليهم الأرزاق، وأقام لهم الأجرة. وكتب إلى كل بلد في حمل من فيه، ممن يفهم شيئاً من البناء، فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات، خبر بهذا جماعة من المشايخ، أن أبا جعفر المنصور لم يبتد البناء، حتى تكامل له من الفعلة، وأهل المهن مائة ألف. ثم اختطها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة، وجعلها مدورة. ولا تعرف في جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها.

ووضع أساس المدينة في وقت اختاره نوبخت المنجم، وما شا الله بن سارية. وقبل وضع الأساس ما ضرب اللبن العظام، وكان في اللبنة التامة المربعة، ذراع في ذراع، وزنها مائتا رطل؛ واللبنة المنصفة طولها ذراع، وعرضها نصف ذراع، ووزنها مائة رطل؛ وحفرت الآبار للماء، وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا، وهو النهر الآخذ من الفرات، فأتقنت القناة، وأجريت إلى داخل المدينة للشرب، ولضرب اللبن، وبل الطين.

وجعل للمدينة أربعة أبواب: باباً سماه باب الكوفة، وباباً سماه باب البصرة، وباباً سماه باب خراسان، وباباً سماه باب الشأم. وبين كل باب منها إلى الآخر خمسة آلاف ذراع، بالذراع السوداء، من خارج الخندق. وعلى كل باب منها بابا حديد عظيمان جليلان؛ ولا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه إلا جماعة رجال، يدخل الفارس بالعلم، والرامح بالرمح الطويل، من غير أن يميل العلم، ولا يثني الرمح. وجعل سورها باللبن العظام التي لم ير مثلها قط، على ما وصفنا من مقدارها والطين، وجعل عرض أساس السور تسعين ذراعاً بالسوداء، ثم ينحط حتى يصير في أعلاه على خمس وعشرين ذراعاً، وارتفاعه ستون ذراعاً مع الشرافات. وحول السور فصيل جليل عظيم؛ بين حائط السور، وحائط الفصيل مائة ذراع بالسوداء، وللفصيل أبرجة عظام، وعليه الشرافات المدورة، وخارج الفصيل كما يدور مسناة بالآجر والصاروج، متقنة محكمة عالية، والخندق بعد المسناة قد أجري فيه الماء من القناة، التي تأخذ من نهر كرخايا، وخلف الخندق الشوارع العظماء.

وجعل لأبواب المدينة أربعة دهاليز عظاماً آزاجاً كلها. طول كل دهليز ثمانون ذراعاً، كلها معقوداً بالآجر والجص. فإذا دخل من الدهليز الذي على الفصيل، وافى رحبة مفروشة بالصخر؛ ثم دهليزاً على السور الأعظم، عليه بابا حديد جليلان عظيمان، لا يغلق كل باب ولا يفتحه إلا جماعة رجال. والأبواب الأربعة كلها على ذلك. فإذا دخل من دهليز السور الأعظم، سار في رحبة إلى طاقات معقودة بالآجر والجص، فيها كواء رومية، يدخل منها الشمس والضوء، ولا يدخل منها المطر، وفيها منازل الغلمان. ولكل باب من الأبواب الأربعة طاقات، وعلى كل باب من أبواب المدينة التي على السور الأعظم، قبة معقودة، عظيمة مذهبة؛ وحولها مجالس ومرتفقات، يجلس فيها؛ فيشرف على كل ما يعمل به، يصعد إلى هذه القباب على عقود مبنية، بعضها بالجص والآجر، وبعضها باللبن العظام، قد عملت ازاجا بعضها أعلى من بعض، فداخل الأزاج للرابطة والحرس، وظهورها عليها المصعد إلى القباب التي على الأبواب على الدواب، وعلى المصعد أبواب تغلق. فإذا خرج الخارج من الطاقات، خرج إلى رحبة، ثم إلى دهليز عظيم أزج معقود بالآجر والجص، عليه بابا حديد، يخرج من الباب إلى الرحبة العظمى. وكذلك الطاقات الأربعة على مثال واحد.

وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب، وإلى جنب القصر المسجد الجامع، ليس حول القصر بناء، ولا دار، ولا مسكن لأحد، إلا دار من ناحية باب الشأم للحرس، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص، يجلس في إحداهما صاحب الشرطة، وفي الأخرى صاحب الحرس؛ وهي اليوم يصلي فيها الناس. وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر، ومن يقرب من خدمته من عبيده، وبيت المال، وخزانة السلاح، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، ومطبخ العامة، وديوان النفقات. وبين الطاقات إلى الطاقات السكك والدروب، تعرف بقواده ومواليه، وبسكان كل سكة.

فمن باب البصرة إلى باب الكوفة سكة الشعرط، وسكة الهيثم، وسكة المطبق، وفيها الحبس الأعظم الذي يسمى المطبق، وثيق البناء، محكم السور، وسكة النساء، وسكة سرجس، وسكة الحسين، وسكة عطية، وسكة مجاشع، وسكة العباس، وسكة غزوان، وسكة أبي حنيفة، والسكة الضيقة.

ومن باب البصرة إلى باب خراسان سكة الحرس، وسكة النعيمية، وسكة سليمان، وسكة الربيع، وسكة مهلهل، وسكة شيخ بن عميرة، وسكة المرورذية، وسكة واضح، وسكة السقائين، وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور، وسكة أبي أحمد، والدرب الضيق.

ومن باب الكوفة إلى باب الشأم سكة العكي وسكة أبي قرة، وسكة عبدوية، وسكة السميدع، وسكة العلاء، وسكة نافع، وسكة أسلم، وسكة المنارة.

ومن باب الشأم إلى باب خراسان سكة المؤذنين، وسكة دارم، وسكة اسرايل، وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب عني اسم صاحبها؛ وسكة الحكم بن يوسف، وسكة سماعة، وسكة صاعد مولى أبي جعفر، وسكة تعرف اليوم بالزيادي، وقد ذهب عني اسم صاحبها، وسكة غزوان. هذه السكك بين الطاقات والطاقات داخل المدينة ومداخل السور؛ وفي كل سكة من هذه السكك جلة. القواد الموثوق بهم في النزول معه، وجلة مواليه، ومن يحتاج إليه في الأمر المهم، وعلى كل سكة من طرفيها الأبواب الوثيقة؛ ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة، لأن حوالي سور الرحبة كما تدور الطريق. وكان الذين هندسوها عبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف، وعمران بن الوضاح، وشهاب بن كثير، بحضرة نوبخت، وإبراهيم بن محمد الفزاري، والطبري المنجمين أصحاب الحساب. وقسم الأرباض أربعة أرباع، وقلد للقيام بكل ربع رجلاً من المهندسين؛ وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع، ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق في ربض ربض.

فقلد الربع من باب الكوفة إلى باب البصرة؛ وباب المحمول والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن

زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس.

والربع من باب الكوفة إلى باب الشأم، وشارع طريق الأنبار إلى حد ربض حرب بن عبد الله سليمان بن مجالد وواضحا مولاه، وعبد الله بن محرز المهندس.

والربع من باب الشأم إلى ربض حرب، وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشأم، وما اتصل بذلك إلى الجسر على منتهى دجلة، حرب بن عبد الله وغزوان مولاه، والحجاج بن يوسف المهندس.

ومن باب خراسان إلى الجسر الذي على دجلة ماداً في الشارع على دجلة إلى البغيين، وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي، وعمارة بن حمزة، وشهاب بن كثير المهندس. ووقع إلى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع، ولمن معه من أصحابه، وما قدره للحوانيت والأسواق في كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا في الحوانيت، ليكون في كل ربض سوق جامعة، تجمع التجارات، وأن يجعلوا في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة، ما يعتدل بها المنازل. وأن يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه، أو الرجل النبيه الذي يتزله، أو أهل البلد الذين يسكنونه. وحد لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعاً بالسوداء؛ والدروب ست عشرة ذراعاً. وأن يبتنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفي بها من في كل ناحية ومحلة. وأمرهم جميعاً أن يجعلوا من قطائع القواد والجند ذرعاً معلوماً للتجار، يبنونه ويتزلونه، ولسوقة الناس وأهل البلدان.

وكان أول من أقطع خارج المدينة من أهل بيته، عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بإزاء باب الكوفة على الصراة السفلى، التي تأخذ من الفرات؛ فربضه يعرف بسويقة عبد الوهاب، وقصره هناك قد خرب. وبلغني أن السويقة أيضاً قد خربت. وأقطع العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. الجزيرة التي بين الصراتين، فجعلها العباس بستاناً ومزدرعاً؛ وهي العباسية المذكورة المشهورة، التي لا تنقطع غلاتها في صيف ولا شتاء، ولا في وقت من الأوقات.

واستقطع العباس لنفسه لما جعل الجزيرة بستاناً في الجانب الشرقي، وفي آخر العباسية تجتمع الصراتان والرحا العظمى، التي يقال لها رحا البطريق، وكانت مائة حجر تغل في كل سنة مائة ألف ألف درهم، هندسها بطريق قدم عليه من ملك الروم فنسبت إليه، وأقطع الشروية وهم موالي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس دون سويقة عبد الوهاب، مما يلي باب الكوفة، وكانوا بوابيه، رئيسهم حسن الشروي.

وأقطع المهاجر بن عمرو صاحب ديوان الصدقات في الرحبة، التي تجاه باب الكوفة، فهناك ديوان الصداقات، وبازائه قطيعة ياسين صاحب النجائب، وخان النجائب؛ ودون خان النجائب اصطبل الموالي.

وأقطع المسيب بن زهير الصبي صاحب الشرطة يمنة باب الكوفة، للداخل إلى المدينة مما يلي باب البصرة،

فهناك دار المسيب، ومسجد المسيب ذو المنارة الطويلة. وأقطع أزهر بن زهير أخا المسيب، في ظهر قطيعة المسيب، مما يلي القبلة، وهو على الصراة، وهناك دار أزهر، وبستان أزهر إلى هذه الغاية؛ ويتصل بقطيعة المسيب وأهل بيته، قطيعة أبي العنبر مولى المنصور مما يلي القبلة. وعلى الصراة قطيعة الصحابة، وكانوا من سائر قبائل العرب من قريش،والأنصار، وربيعة، ومضر، ويمن. وهناك دار عياش الملتوف وغيره؛ ثم قطيعة يقطين بن موسى، أحد رجال الدولة وأصحاب الدعوة؛ ثم تعبر الصراة العظمى التي اجتمعت فيها الصراتان الصراة العليا، والصراة السفلى، وعليها القنطرة المعقودة بالجص والآجر، المحكمة الوثيقة، التي يقال لها القنطرة العتيقة؛ لأنها أول شيء بناه، وتقدم في أحكامه. فتعرج من القنطرة ذات اليمين إلى القبلة، إلى قطيعة اسحاق بن عيسى بن علي، وقصوره ودوره شارعة على الصراة العظمى من الجانب الشرقي، والطريق الأعظم بين الدور والصراة. ومن قطيعة عيسى بن علي إلى قطيعة أبي السري الشأمي مولى المنصور. ثم الطاق المعقود عليه الباب المعروف بباب المحول، فتصير منه إلى ربض حميد بن قحطبة الطائي، وربض حميد شارع على الصراة العليا وهناك دار حميد وأصحابه وجماعة من آل قحطبة ابن شبيب ثم يتصل ذلك بقطيعة الفراشين، وتعرف بدار الروميين، وتشرع على نهر كرخايا. ثم تعود إلى الشارع الأعظم وهو شارع باب المحول، وفيه سوق عظيمة، فيها أصناف التجارات. ثم يتصل ذلك بالحوض العتيق، وهناك منازل الفرس أصحاب الشاه، ثم يستمر المسير إلى الموضع المعروف بالكناسة، فهناك مرابط دواب العامة، ومواضع نخاسي الدواب. ثم المقبرة القديمة المعروفة بالكناسة مادة إلى نهر عيسى بن علي، الذي يأخذ من الفرات والدباغين، وبإزاء قطيعة الروميين على نهر كرخايا الذي عليه القنطرة المعروفة بالروميين، دار كعيوبه البستانيان الذي غرس النخل ببغداد. ثم بساتين متصلة غرسها كعيوبه البصري إلى الموضع المعروف ببراثا. ثم رجعنا إلى القنطرة العتيقة فقيل أن تعبر القنطرة مشرقاً إلى ربض أبي الورد كوثر بن اليمان، خازن بيت المال، وسوق فيها سائر البياعات، تعرف بسويقة أبي الورد إلى باب الكرخ.

وفي ظهر قطيعة أبي الورد كوثر بن اليمان، قطيعة حبيب بن رغبان الحمصي، وهناك مسجد ابن رغبان، ومسجد الأنباريين كتاب ديوان الخراج.

وقبل أن تعبر إلى القنطرة العتيقة، وإنه مقبل من باب الكوفة في الشارع الأعظم، قطيعة سليم، مولى أمير المؤمنين صاحب ديوان الخراج. وقطيعة أيوب بن عيسى الشروي؛ ثم قطيعة رباوة الكرماني وأصحابه، وتنتهي إلى باب المدينة المعروف بباب البصرة، وهو مشرف على الصراة ودجلة، وبإزائه القنطرة الجديدة، لأنها آخر ما بني من القناطر، وعليها سوق كبيرة، فيها سائر التجارات، مادة متصلة. ثم ربض وضاح

مولى أمير المؤمنين، المعروف بقصر وضاح، صاحب خزانة السلاح، وأسواق هناك، وأكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون، أصحاب الكتب، فإن به أكثر من مائة حانوت للوراقين. ثم إلى قطيعة عمرو بن سمعان الحراني، وهناك طاق الحراني.

ثم الشرقية وإنما سميت الشرقية، لأنها قدرت مدينة للمهدي، قبل أن يعزم على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة، فسميت الشرقية، وبها المسجد الكبير؛ وكان يجمع فيه يوم الجمعة، وفيه منبر، وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية، ثم أخرج المنبر منه. وتنعرج من الشرقية ماراً إلى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة، وبها دار عيسى بن جعفر، وتقرب منها دار جعفر بن جعفر بن المنصور. ثم تخرج من هذه الطرق الأربعة التي ذكرنا إلى شارع باب الكرخ، فأولها عند باب النخاسين قطيعة سويد مولى المنصور، ورحبة سويد في ظهر النخاسين، ثم الأسواق مادة في جانبي الشارع. وتنعرج من باب الكرخ متيامناً إلى قطيعة الربيع، مولى أمير المؤمنين؛ التي فيها التجار، تجار خراسان من البزازين، وأصناف ما يحمل من خراسان من الثياب، لا يختلط بها شيء.

وهناك النهر الذي يأخذ من نهر كرخايا، عليه منازل التجار يقال له: نهر الدجاج، لأنه كان يباع عليه الدجاج في ذلك الوقت. وفي ظهر قطيعة الربيع منازل التجار، وأخلاط الناس من كل بلد؛ يعرف كل درب بأهله، وكل سكة بمن يترلها.

والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح إلى سوق الثلثاء طولاً، بمقدار فرسخين؛ ومن قطيعة الربيع إلى دجلة عرضاً، مقدار فرسخ. فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة، وصفوف في تلك الشوارع، وحوانيت، وعراص، وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق مفردة، وكل أهل منفروين بتجاراتهم؛ وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم. وبين هذه الأرباض التي ذكرنا، والقطائع التي وصفنا، منازل الناس من العرب، والجند، والدهاقين، والتجار، وغير ذلك من أخلاط الناس، ينتسب إليهم الدروب والسكك. فهذا ربع من أرباع بغداد، وهو الربع الكبير الذي تولاه المسيب بن زهير، والربيع مولى أمير المؤمنين، وعمران بن الوضاح المهندس، وليس ببغداد ربع أكبر ولا أجل منه.

ومن باب الكوفة إلى باب الشأم ربض سليمان بن مجالد، لأنه كان يتولى هذا الربع فنسب إليه، وفيه قطيعة واضح؛ ثم قطيعة عامر بن اسماعيل المسلي، ثم ربض الحسن بن قحطبة، ومنازله، ومنازل أهله شارعة في الدرب المعروف بالحسن؛ ثم ربض الخوارزمية أصحاب الحارث بن رقاد الخوارزمي؛ وقطيعة الحارث في الدرب؛ ثم قطيعة.... مولى أمير المؤمنين صاحب الركاب، وهي الدار التي صارت لإسحاق

بن عيسى بن علي الهاشميّ، ثم اشتراها كاتب لمحمد بن عبد الله بن طاهر، يقال له: طاهر بن الحارث؛ ثم ربض الخليل بن هاشم الباوردي؛ ثم ربض الخطاب بن نافع الطحاوي؛ ثم قطيعة هاشم بن معروف، وهي في درب الأقفاص؛ ثم قطيعة الحسن بن جعفرات، وهي في درب الأقفاص أيضاً، متصل بدرب القصارين، ومن شارع طريق الأنبار فأول القطائع قطيعة واضح مولى أمير المؤمنين وولده، ودرب أيوب بن المغيرة الفزاري بالكوفة، والدرب يعرف بدرب الكوفيين؛ ثم قطيعة سلامة بن سمعان البخاري، وأصحابه، ومسجد البخارية، والمنارة الخضراء فيه؛ ثم قطيعة اللجلاج المتطبب؛ ثم قطيعة عوف بن نزار اليمامي، ودرب اليمامية النافذ إلى دار سليمان بن مجالد؛ وقطيعة الفضل ابن جعونة الرازي، وهي التي صارت لداود بن سليمان الكاتب، كاتب أم جعفر، المعروف بداود النبطي؛ ثم السيب ودار هبيرة بن عمرو، وعلى السيب، قطيعة صالح البلدي في درب صباح، النافذ إلى سويقة عبد الوهاب؛ وقطيعة قابوس بن السميدع، وبإزائه قطيعة خالد بن الوليد التي صارت لأبي صالح يحيى بن عبد الرحمن الكاتب، صاحب ديوان الخراج في أيام الرشيد، فتعرف بدور أبي صالح؛ ثم قطيعة شعبة بن يزيد الكابلي؛ ثم ربض القس مولى المنصور، وبستان القس المعروف به؛ ثم ربض الهيثم بن معاوية ويعرف بشار سوق الهيثم، وهناك سوق كبيرة متصلة، ومنازل، ودروب، وسكك كله ينسب إلى بشار سوق الهيثم؛ ثم قطيعة المروروذية آل أبي خالد الأنباري؛ ثم ربض أبي يزيد الشروي مولى محمد بن علي وأصحابه؛ ثم قطيعة موسى بن كعب التميمي، وقد ولي شرطة المنصور، ثم قطيعة بشر بن ميمون ومنازله؛ ثم قطيعة سعيد بن دعلج التميمي، ثم قطيعة الشخير وزكرياء بن الشخير؛ ثم ربض أبي أيوب سليمان بن أيوب، المعروف بأبي أيوب الخوزي المورياني، وموريان قرية من كورة من كور الأهواز يقال لها مناذر؛ ثم قطيعة رداد بن زاذان المعروفة بالردادية، ثم الممددار، ثم حد ربض حرب ودونه الرملية. وهذا الربع الذي تولاه سليمان بنت مجالد، وواضح مولى أمير المؤمنين والمهندس عمران بن الوضاح.

والربع من باب الشأم فأول ذلك قطيعة الفضل بن سليمان الطوسي، وإلى جنبه السجن المعروف بسجن باب الشأم، والأسواق المعروفة بسوق باب الشأم، وهي سوق عظيمة، فيها جميع التجارات والبياعات، ممتدة ذات اليمين وذات الشمال، آهلة، عامرة الشوارع، والدروب والعراص؛ وتمتد في شارع عظيم، فيه الدروب الطوال، كل درب ينسب إلى أهل بلد من البلدان، يترلونه في جنبتيه جميعاً، إلى ربض حرب بن عبد الله البلخي.

وليس ببغداد ربض أوسع، ولا أكبر، ولا أكثر دروباً وأسواقاً في الحال منه، وأهله أهل بلخ، وأهل مرو، وأهل الختل، وأهل بخارا، وأهل أسبيشا، وأهل إشتاخنج، وأهل :ابل شاه وأهل خوارزم، ولكل أهل بلد قائد ورئيس. وقطيعة الحكم بن يوسف البلخي صاحب الحراب، وقد كان ولي الشرطة. ومن باب الشأم

في الشارع الأعظم الماد إلى الجسر الذي على دجلة، سوق ذات اليمين وذات الشمال. ثم ربض يعرف بدار الرقيق، كان فيه رقيق أبي جعفر، الذين يباعون من الآفاق، وكانوا مضمومين إلى الربيع مولاه. ثم ربض الكرمانية، والقائد بوزان بن خالد الكرماني؛ ثم قطيعة الصغد ودار خرفاش الصغدي؛ ثم قطيعة ماهان الصامغاني وأصحابه؛ ثم قطيعة مرزبان أبي أسد بن مرزبان الفاريابي وأصحابه أصحاب العمد، ثم تنتهي إلى الجسر، فهذا الربع الذي تولاه حرب بن عبد الله مولى أمير المؤمنين والمهندس الحجاج بن يوسف.

والربع من باب خراسان إلى الجسر على دجلة، وما بعد ذلك بإزاءها الخلد، وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض وقصر يشرع على دجلة، لم يزل أبو جعفر يترله؛ وكان فيه المهدي قبل أن ينتقل إلى قصره بالرصافة، الذي بالجانب الشرقي من دجلة، فإذا جاوز موضع الجسر، فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة للجسر؛ فإذا جاوزت ذلك فأول القطائع قطيعة سلمان بن أبي جعفر، في الشارع الأعظم على دجلة، وفي درب يعرف بدرب سليمان، وإلى جنب قطيعة سليمان في الشارع الأعظم، قطيعة صالح ابن أمير المؤمنين المنصور، وهو صالح المسكين، مادة إلى دار نجيح مولى المنصور، التي صارت لعبد الله بن ظاهر؛ وآخر قطيعة صالح قطيعة عبد الملك بن يزيد الجرجاني، المعروف بأبي عون وأصحابه الجرجانية. ثم قطيعة تميم الباذغيسي، متصلة بقطيعة أبي عون، ثم قطيعة عباد الفرغاني وأصحابه الفراغنة، ثم قطيعة عيسى بن نجيح المعروف بابن روضة وغلمان الحجابة، ثم قطيعة الأفارقة، ثم قطيعة تمام الديلمي مما يلي قنطرة التبانين، وقطيعة حنبل بن مالك، ثم قطيعة البغيين أصحاب حفص بن عثمان، ودار حفص هي التي صارت لاسحاق بن إبراهيم، ثم السوق على دجلة في الفرضة، ثم قطيعة لجعفر ابن أمير المؤمنين المنصور، صارت لأم جعفر ناحية باب قطربل، تعرف بقطيعة أم جعفر. ومما على القبلة قطيعة مرار العجلي، وقطيعة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وقد كان يلي الشرطة، ثم عزله وولاه خراسان، فعصى هناك، فوجه إليه المهدي في الجيوش، فحاربه حتى ظفر به، فحمله إلى أبي جعفر فضرب عنقه وصلبه.

وفي هذه الأرباض والقطائع ما لم نذكره، لأن كافة الناس بنوا القطائع وغير القطائع وتوارثوا. وأحصيت الدروب والسكك، فكانت ستة آلاف درب وسكة، وأحصيت المساجد فكانت ثلاثين ألف مسجد سوى ما زاد بعد ذلك؛ وأحصيت الحمامات فكانت عشرة آلاف حمام سوى ما زاد بعد ذلك.

وجر القناة التي تأخذ من نهر كرخايا، الآخذ من الفرات في عقود وثيقة من أسفلها، محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها، معقودة عقداً وثيقاً، فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارع الأرباض، تجري صيفاً وشتاء، قد هندست هندسة لا ينقطع لها ماء في وقت. وقناة أخرى من دجلة على هذا المثال، وسماها

دجيل. وجر لأهل الكرخ وما اتصل به نهراً، يقال له: نهر الدجاج؛ وإنما سمي نهر الدجاج لأن أصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده. ونهراً يسمى نهر طابق بن الصميه. ولهم نهر عيسى الأعظم، الذي يأخذ من معظم الفرات، تدخل فيه السفن العظام، التي تأتي من الرقة، ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشأم ومصر، تصير إلى فرضة عليها الأسواق، وحوانيت التجار، لا تنقطع في وقت من الأوقات، فالماء لا ينقطع. ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات، فهي عذبة، شرب القوم جميعاً منها. وإنما احتيج إلى هذه القنوات لكبر البلد وسعته، وإلا فهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي، تدفق عليهم المياه حتى غرسوا النخل الذي حمل من البصرة، فصار ببغداد أكثر منه بالبصرة، والكوفة، والسواد. وغرسوا الأشجار وأثمرت الثمر العجيب، وكثرت البساتين والأجنة في أرباض بغداد من كل ناحية، لكثرة المياه وطيبها. وعمل فيها كل ما يعمل في بلد من البلدان. لأن حذاق أهل الصناعات انتقلوا إليها من كل بلد، وأتوها من كل أفق، ونزعوا إليها من الأداني والأقاصي، فهذا الجانب الغربي من بغداد، وهو جانب المدينة، وجانب الكرخ، وجانب الأرباض، وفي كل طرف منه مقبرة وقرى متصلة وعمارات مادة.
والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور، وهو ولي عهد أبيه. وابتدأ بناءه في سنة ثلاث وأربعين ومائة، فاختط المهدي قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع، الذي في الرصافة. وحفر نهراً يأخذ من النهروان، سماه نهر المهدي، يجري في الجانب الشرقي، وأقطع المنصور أخوته وقواده، بعد ماء أقطع من بالجانب الغربي، وهو جانب مدينته، وقسمت القطائع في هذا الجانب، وهو يعرف بعسكر المهدي؛ كما قسمت في جانب المدينة، وتنافس الناس في الترول على المهدي، لمحبتهم له، ولا تساعه عليهم بالأموال والعطايا، ولأنه كان أوسع الجانبين أرضاً، لأن الناس سبقوا إلى الجانب الغربي، وهو جزيرة بين دجلة والفرات؛ فبنوا فيه، وصار فيه الأسواق والتجارات. فلما ابتدىء البناء في الجانب الشرقي امتنع على من أراد سعة البناء.

فأول القطائع على رأس الجسر لخزيمة بن خازم التميمي، وكان على شرطة المهدي، ثم قطيعة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ثم قطيعة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، لأنه جعل قطيعته في الجانب الغربي بستاناً، ثم قطيعة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب، ثم قطيعة قثم به العباس به عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، عامل أبي جعفر على اليمامة، ثم قطيعة الربيع مولى أمير المؤمنين لأنه جعل قطيعته بناحية الكرخ أسواقاً ومستغلات. فأقطع مع المهدي وهو قصر الفضل بن الربيع والميدان، ثم قطيعة جبريل بن يحيى البجلي، ثم قطيعة أسد بن عبد الله الخزاعي، ثم قطيعة مالك بن الهيثم الخزاعي، ثم قطيعة سلم بن قتيبة الباهلي، ثم قطيعة سفيان بن معاوية

المهلبي ، ثم قطيعة روح بن حاتم، ثم قطيعة أبان بن صدقة الكاتب، ثم قطيعة حموية الخادم مولى المهدي، ثم قطيعة نصير الوصيف مولى المهدي، ثم قطيعة سلمة الوصيف، صاحب خزانة سلاح المهدي، ثم قطيعة بدر الوصيف مع سوق العطش، وهي السوق العظمى الواسعة، ثم قطيعة العلاء الخادم مولى المهدي، ثم قطيعة يزيد بن منصور الحميري، ثم قطيعة زياد بن منصور الحارثي ثم قطيعة أبي عبيد معاوية بن برمك البلخي على قنطرة بردان، ثم قطيعة عمارة بن حمزة بن ميمون، ثم قطيعة ثابت بن موسى الكاتب على خراج الكوفة وما سقي الفرات، ثم قطيعة عبد الله بن زياد بن أبي ليلى الخثعمي الكاتب على ديوان الحجاز، والموصل، والجزيرة، وأرمينية، وآذربيجان. ثم قطيعة عبيد الله بن محمد بن صفوان القاضي، ثم قطيعة يعقوب بن داود السلمي الكاتب، الذي كتب للمهدي في خلافته، ثم قطيعة منصور مولى المهدي، وهو الموضع الذي يعرف بباب المقير، ثم قطيعة أبي هريرة محمد بن فروخ القائد بالموضع المعروف بالمخرم، ثم قطيعة معاذ بن مسلم الرازي جد إسحاق بن يحيى بن معاذ، ثم قطيعة الغمر بن العباس الخثعمي صاحب البحر، ثم قطيعة سلام مولى المهدي بالمخرم وكان يلي المظالم، ثم قطيعة عقبة بن سلم الهنائي، ثم قطيعة سعيد الحرشي في مربعة الحرشي، ثم قطيعة مبارك التركي، ثم قطيعة سوار مولى أمير المؤمنين ورحبة سوار، ثم قطيعة نازي مولى أمير المؤمنين صاحب الدواب اصطبل نازي، ثم قطيعة محمد بن الأشعث الخزاعي، ثم قطيعة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، ثم قطيعة أبي غسان مولى أمير المؤمنين المهدي، وبين القطائع منازل الجند وسائر الناس من التناء ومن التجار، ومن سائر الناس في كل محلة.

وعند كل ربض وسوق هذا الجانب العظمى التي تجتمع فيها أصناف التجارات، والبياعات، والصناعات على رأس الجسر ماراً من رأس الجسر مشرقاً ذات اليمين وذات الشمال من أصناف التجارات والصناعات. وينقسم طرق الجانب الشرقي- وهو عسكر المهدي- خمسة أقسام: فطريق مستقيم إلى الرصافة الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع.

وطريق في السوق التي يقال لها سوق خضير، وهي معدن طرائف الصين، وتخرج منها إلى الميدان ودار الفضل بن الربيع.

وطريق ذات اليسار إلى باب البردان، وهناك منازل خالد بن برمك وولده.

وطريق الجسر من دار خزيمة إلى السوق المعروفة بسوق يحيى بن الوليد، وإلى الموضع المعروف بالدور، إلى باب بغداد المعروف بالشماسية، ومنه يخرج من أراد إلى سر من رأى.

وطريق عند الجسر الأول الذي يعبر عليه من أتى من الجانب الغربي، يأخذ على دجلة إلى باب المقير والمخرم وما اتصل بذلك.

وكان هذا أوسع الجانبين لكثرة الأسواق والتجارات في الجانب الغربي كما وصفنا، فتزله المهدي وهو ولي عهد وفي خلافته، ونزله موسى الهادي، ونزله هارون الرشيد، ونزله المأمون، ونزله المعتصم. وفيه أربعة آلاف درب وسكة، وخمسة عشر ألف مسجد، سوى ما زاده الناس؛ وخمسة آلاف حمام، سوى ما زاده الناس بعد ذلك؛ وبلغ أجرة الأسواق ببغداد في الجانبين جميعاً مع رحا البطريق، وما اتصل بها في كل سنة اثني عشر ألف ألف درهم. ونزل ببغداد سبعة خلفاء: المنصور، والمهدي، وموسى الهادي، وهارون الرشيد، ومحمد الأمين، وعبد الله المأمون، والمعتصم. فلم يمت بها منهم واحد إلا محمد الأمين بن هارون الرشيد، فإنه قتل خارج باب الأنبار عند بستان طاهر.

وهذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في أيام المنصور، ووقت ابتدائها، وقد تغيرت ومات المتقدمون من أصحابها، وملكها قوم بعد قوم، وجيل بعد جيل. وزادت عمارة بعض المواضع، وملك قوم ديار قوم. وانتقل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم إلى سر من رأى، في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ثم اتصل بهم المقام في أيام الواثق والمتوكل، و لم تخرب بغداد، ولا نقصت أسواقها، لأنهم لم يجدوا منها عوضاً، ولأنه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى في البر والبحر، أعني في دجلة وفي جانبي دجلة.

سر من رأى

قد ذكرنا بغداد وابتداء أمرها، والوقت الذي بناها أبو جعفر المنصور فيه، ووصفنا كيف هندست، وقسمت أرباضها، وقطائعها، وأسواقها، ودروبها، وسككها، ومحالها في الجانب الغربي من دجلة؛ وهو جانب المدينة والكرخ. والجانب الشرقي وهو جانب الرصافة، الذي يسمى عسكر المهدي، وقلنا في ذلك بما علمنا. فلنذكر الآن سر من رأى، وإنها المدينة الثانية من مدن خلفاء بني هاشم. وقد سكنها ثمانية خلفاء منهم: المعتصم وهو ابتدأها وأنشأها،والواثق وهو هارون ابن المعتصم، والمتوكل جعفر بن المعتصم، والمنتصر محمد بن المتوكل، والمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم، والمعتز أبو عبد الله بن المتوكل، والمهتدي محمد بن الواثق، والمعتمد أحمد بن المتوكل.

قال أحمد بن أبي يعقوب: كانت سر من رأى في متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان، لا عمارة بها، وكان بها دير للنصارى، بالموضع الذي صارت فيه دار السلطان، المعروفة بدار العامة. وصار الدير بيت المال، فلما قدم المعتصم بغداد، منصرفه من طرسوس في السنة التي بويع له بالخلافة، وهي سنة ثمان عشرة ومائتين، نزل دار المأمون، ثم بنى داراً في الجانب الشرقي من بغداد، وانتقل إليها، وأقام بها في سنة ثماني

عشرة وتسع عشرة وعشرين وإحدى وعشرين ومائتين. وكان معه خلق من الأتراك وهم يومئذ عجم.

أعلمني جعفر الخشكي قال: كان المعتصم يوجه بي في أيام المأمون إلى سمرقند إلى نوح بن أسد، في شراء الأتراك، فكنت أقدم عليه في كل سنة منهم بجماعة، فاجتمع له في أيام المأمون منهم زهاء ثلاثة آلاف غلام. فلما أفضت إليه الخلافة ألح في طلبهم، واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس، كان ممن اشترى ببغداد جماعة جملة، منهم: أشناس: وكان مملوكاً لنعيم بن خازم أبي هارون بن نعيم، وإيتاخ: كان مملوكاً لسلام بن الأبرش، ووصيف: كان زراداً مملوكاً لآل النعمان، وسيما الدمشقي: وكان مملوكاً لذي الرئاستين الفضل بن سهل. وكان أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالاً، فيثب عليهم الغوغاء، فيقتلون بعضاً، ويضربون بعضاً، وتذهب دماؤهم هدراً، لا يعدون على من فعل ذلك. فثقل ذلك على المعتصم، وعزم على الخروج من بغداد. فخرج إلى الشماسية، وهو الموضع الذي كان المأمون يخرج إليه، فيقيم به الأيام والشهور، فعزم أن يبني بالشماسية خارج بغداد مدينة؛ فضاقت عليه أرض ذلك الموضع، وكره أيضاً قربها من بغداد، فمضى إلى البردان بمشورة الفضل بن مروان، وهو يومئذ وزير، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأقام بالبردان أياماً، وأحضر المهندسين، ثم لم يرض الموضع فصار إلى موضع يقال له باحمشا، من الجانب الشرقي من دجلة، فقدر هناك مدينة على دجلة، وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً، فلم يجده، فنفذ إلى القرية المعروفة بالمطيرة، فأقام بها مدة، ثم مد إلى القاطول، فقال هذا أصلح المواضع، فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة، ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول، فابتدأ البناء وأقطع القواد والكتاب والناس فبنوا، حتى ارتفع البناء، واختطت الأسواق على القاطول وعلى دجلة؛ وسكن هو في بعض ما بني له، وسكن بعض الناس أيضاً. ثم قال أرض القاطول غير طائلة، وإنما هي حصاً وأفهار، والبناء بها صعب جداً، وليسن لأرضها سعة. ثم ركب متصيداً، فمر في مسيره حتى صار إلى موضع سر من رأى، وهي صحراء من أرض الطيرهان، لا عمارة بها، ولا أنيس فيها، إلا دير للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من الرهبان، وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سر من رأى، وأنه كان مدينة سام بن نوح، وأنه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور، له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة، ينزلها وينزلها ولده. فقال: أنا والله أبنيها، وأنزلها، وينزلها ولدي.
ولقد أمر الرشيد يوماً أن يخرج ولده إلى الصيد، فخرجت مع محمد والمأمون وأكابر ولد الرشيد، فاصطاد كل واحد منا صيداً، واصطدت بومة، ثم انصرفنا وعرضنا صيدنا عليه، فجعل من كان معنا من الخدم يقول: هذا صيد فلان، وهذا صيد فلان، حتى عرض عليه صيدي، فلما رأى البومة وقد كان الخدم

أشفقوا من عرضها لئلا يتطير بها، أو ينالني منه غلظة، فقال: من صاد هذه؟ قالوا: أبو اسحق. فاستبشر وضحك وأظهر السرور ثم قال: أما أنه يلي الخلافة، ويكون جنده وأصحابه والغالبون عليه، قوماً وجوههم مثل وجه هذه البومة، فيبني مدينة قديمة، وينزلها بهؤلاء القوم، ثم ينزلها ولده من بعده، وما سر الرشيد يومئذ بشيء من الصيد كما سر بصيدي لتلك البومة.

ثم عزم المعتصم على أن ينزل بذلك الموضع، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات، وابن أبي دؤاد، وعمر بن فرج، وأحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير، وقال لهم: اشتروا من أصحاب هذا الدير هذه الأرض، وادفعوا إليهم ثمنها أربعة آلاف دينار، ففعلوا ذلك. ثم أحضر المهندسين فقال: اختاروا أصلح هذه المواضع، فاختاروا عدة مواضع للقصور، وصير إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر؛ فصير إلى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقاني، وإلى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالغمري، وإلى أبي الوزير بناء القصر المعروف بالوزيري.

ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس، وخط المسجد الجامع، واختط الأسواق حول المسجد الجامع، ووسعت صفوف الأسواق، وجعلت كل تجارة منفردة، وكل قوم على حدتهم، على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد وكتب في إشخاص الفعلة، والبنائين، وأهل المهن من الحدادين والنجارين، وسائر الصناعات؛ وفي حمل الساج، وسائر الخشب، والجذوع من البصرة، وما والاها من بغداد، وسائر السواد، ومن أنطاكية وسائر سواحل الشأم؛ وفي حمل عملة الرخام، وفرش الرخام، فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام. وأفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً، وجعلهم معتزلين عنهم، لا يختلطون بقوم من المولدين، ولا يجاورهم إلا الفراعنة. وأقطع أشناس وأصحابه الموضع المعروف بالكرخ، وضم إليه عدة من قواد الأتراك والرجال، وأمره أن يبني المساجد والأسواق. وأقطع خاقان عرطوج وأصحابه مما يلي الجوسق الخاقاني، وأمر بضم أصحابه ومنعهم من الاختلاط بالناس. وأقطع وصيفاً وأصحابه مما يلي الحير، وبنى حائطاً سماه حائر الحير ممتداً. وصيرت قطائع الأتراك جميعاً والفراغنة العجم بعيدة من الأسواق، والزحام في شوارع واسعة ودروب طوال، ليس معهم في قطائعهم ودروبهم أحد من الناس، يختلط بهم من تاجر ولا غيره. ثم اشترى لهم الجواري، فأزوجهم منهن، ومنعهم أن يتزوجوا، ويصاهروا إلى أحد من المولدين، إلى أن ينشأ لهم الولد، فيتزوج بعضهم إلى بعض؛ وأجرى لجواري الأتراك أرزاقاُ قائمة، وأثبت أسماءهن في الدواوين، فلم يكن يقدر أحد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها.

ولما أقطع اشناس التركي في آخر البناء مغرباً، وأقطع أصحابه معه، وسمى الموضع الكرخ، أمره أن لا يطلق لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم، ولا يطلق معاشرة المولدين، فأقطع قوماً آخرين فوق الكرخ، وسماه

الدور؛ وبنى لهم في خلال الدور والقطائع المساجد والحمامات، وجعل في كل موضع سويقة، فيها عدة حوانيت للفاميين والقصابين، ومن أشبههم ممن لا بد لهم منه، ولا غنى عنه. وأقطع الأفشين خيذر بن كاوس الأسروشني في آخر البناء، مشرقاً، على قدر فرسخين، وسمي الموضع المطيرة، فأقطع أصحابه الأسروشنية وغيرهم من المضمومين إليه حول داره، وأمره أن يبني فيما هناك سويقة، فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه، ومساجد وحمامات. واستقطع الحسن بن سهل بين آخر الأسواق وكان آخرها الجبل الذي صار فيه خشبة بابك وبين المطيرة موضع قطيعة أفشين، وليس في ذلك الموضع يومئذ شيء من العمارات، ثم أحدقت العمارة به حتى صارت قطيعة الحسن بن سهل وسط سر من رأى. وامتد بناء الناس من كل ناحية، واتصل البناء بالمطيرة، وجعلت الشوارع لقطائع قواد خراسان، وأصحابهم من الجند والشاكرية، وعن يمين الشوارع ويسارها الدروب فيها منازل الناس كافة، وكان الشارع المعروف بالسريجة- وهو الشارع الأعظم- ممتداً من المطيرة إلى الوادي، المعروف في هذا الوقت بوادي اسحق بن إبراهيم، لأن اسحق بن إبراهيم انتقل من قطيعته في أيام المتوكل، فبنى على رأس الوادي، واتسع في البناء. ثم قطيعة اسحق بن يحيى بن معاذ، ثم تتصل قطائع الناس يمنة ويسرة في هذا الشارع الاعظم، وفي دروب من جانبي الشارع الأعظم، تنفذ إلى شارع- يعرف بأبي أحمد وهو أبو أحمد بن الرشيد- من أحد الجانبين، وتنفذ إلى دجلة، وما قرب منها من الجانب الآخر، وتمر القطائع إلى ديوان الخراج الأعظم، وهو في هذا الشارع الكبير.

وفي هذا الشارع قطائع قواد خراسان، منها: قطيعة هاشم بن بانيجور، وقطيعة عجيف بن عنبسة، وقطيعة الحسن بن علي المأموني، وقطيعة هرون بن نعيم، وقطيعة حزام بن غالب، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصية والعامية يتولاها حزام ويعقوب أخوه، ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق منشعبة، فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق، ثم مجلس الشرط، والحبس الكبير، ومنازل الناس، والأسواق في هذا الشارع يمنةً ويسرةً، مثل سائر البياعات والصناعات. ويتصل ذاك إلى خشبة بابك، ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل، كل تجارة منفردة ، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم، ثم الجامع القديم الذي لم يزل يجمع فيه إلى أيام المتوكل، فضاق على الناس، فهدمه وبنى مسجداً جامعاً واسعاً في طرف الحير، المسجد الجامع والأسواق من أحد الجانبين ومن الجانب الآخر القطائع والمنازل، وأسواق أصحاب البياعات الدنية مثل أصحاب الفقاع والهرائس والشراب، وقطيعة راشد المغربي، وقطيعة مبارك المغربي، وسويقة مبارك، وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيعة جعفر، ثم قطيعة أبي الوزير، ثم قطيعة العباس بن على بن المهدي، ثم قطيعة عبد الوهاب بن علي بن المهدي، ويمتد

الشارع- وفيه قطائع عامة- إلى دار هارون بن المعتصم، وهو الواثق، عند دار العامة وهي الدار التي نزلها يحيى بن أكثم في أيام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة، ثم باب العامة ودار الخليفة- وهي دار العامة- التي يجلس فيها يوم الإثنين والخميس، ثم الخزائن خزائن الخاصة وخزائن العامة، ثم قطيعة مسرور سمانة الخادم وإليه الخزائن، ثم قطيعة قرقاس الخادم وهو خراساني، ثم قطيعة ثابت الخادم، ثم قطيعة أبي الجعفاء وسائر الخدم الكبار.

والشارع الثاني يعرف بأبي أحمد وهو أبو أحمد بن الرشيد، أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبب التي بناها في أيام المتوكل، ثم قطائع قواد خراسان، وأسبابهم من العرب، ومن أهل قم، وأصبهان، وقزوين والجبل وآذربيجان، يمنة في الجنوب مما يلي القبلة، فهو نافذ إلى شارع السريجة الأعظم؛ وما كان مما يلي الشمال ظهر القبلة، فهو نافذ إلى شارع أبي أحمد، ديوان الخراج الأعظم، وقطيعة عمر، وقطيعة للكتاب وسائر الناس، وقطيعة أبي أحمد بن الرشيد في وسط الشارع، وفي آخره مما يلي الوادي الغربي الذي يقال له: وادي إبراهيم بن رياح قطيعة ابن أبي داؤد، وقطيعة الفضل بن مروان، وقطيعة محمد بن عبد الملك الزيات، وقطيعة إبراهيم بن رياح في الشارع الأعظم، ثم تتصل الإقطاعات في هذا الشارع وفي الدروب إلى يمنته ويسرته إلى قطيعة بغا الصغير، ثم قطيعة بغا الكبير، ثم قطيعة سيما الدمشقي، ثم قطيعة برمش، ثم قطيعة وصيف القديمة، ثم قطيعة إيتاخ ويتصل ذلك إلى باب البستان وقصور الخليفة.

والشارع الثالث شارع الحير الأول الذي صارت فيه دار أحمد بن الخصيب في أيام المتوكل، فأصل هذا الشارع من المشرق ومن الوادي المتصل بوادي إسحق بن إبراهيم، وفيه قطائع الجند والشاكرية وأخلاط الناس، ويمتد إلى وادي إبراهيم بن رياح.

والشارع الرابع يعرف بشارع برغامش التركي، فيه قطائع الأتراك والفراغنة فدروب الأتراك منفردة، ودروب الفراغنة منفردة، والأتراك في الدروب التي في القبلة، والفراغنة بإزائهم بالدروب التي في ظهر القبلة، كل درب بإزاء درب، لا يخالطهم أحد من الناس؛ وآخر منازل الأتراك وقطائعهم قطائع الخزر مما يلي المشرق. أول هذا الشارع من المطيرة عند قطائع الإفشين التي صارت لوصيف وأصحاب وصيف، ثم يمتد الشارع إلى الوادي، الذي يتصل بوادي إبراهيم ابن رياح.

والشارع الخامس يعرف بصالح العباسي، وهو شارع الأسكر فيه قطائع الأتراك والفراغنة، والأتراك أيضاً في دروب منفردة، والفراغنة في دروب منفردة، ممتد من المطيرة إلى دار صالح العباسي، التي على رأس الوادي، ويتصل ذاك بقطائع القواد والكتاب والوجوه والناس كافة، ثم شارع خلف شارع الأسكر يقال له شارع الحير الجديد، فيه أخلاط من الناس من قواد الفراغنة والأسروشنية والاشتاخنجية وغيرهم من

سائر كور خراسان. وهذه الشوارع التي من الحير كلما اجتمعت إلى إقطاعات لقوم هدم الحائط وبني خلفه حائطاً غيره، وخلف الحائط الوحش من الظباء والحمير الوحش، والأيايل والأرانب والنعام؛ وعليها حائط يدور في صحراء حسنة واسعة. والشارع الذي على دجلة يسمى شارع الخليج، وهناك الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد، وواسط، وكسكر، وسائر السواد من البصرة، والأبلة، والأهواز، وما اتصل بذلك؛ ومن الموصل وبعربايا، وديار ربيعة وما اتصل بذلك. وفي هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم أو أكثرهم، والموضع المعروف بالأزلاخ الذي عمر بالرجالة المغاربة في أول ما اختطت سر من رأى. واتسع الناس في البناء بسر من رأى أكثر من اتساعهم ببغداد، وبنوا المنازل الواسعة، إلا أن شربهم جميعاً من دجلة، مما يحمل في الروايا على البغال، وعلى الإبل، لأن آبارهم بعيدة الرشاء، ثم هي مالحة غير سائغة، فليس لها اتساع في الماء، ولكن دجلة قريبة والروايا كثيرة. وبلغت غلات ومستغلات سر من رأى وأسواقها عشرة آلاف ألف درهم في السنة، وقرب محمل ما يؤتى به من الميرة من الموصل، وبعربايا، وسائر ديار ربيعة في السفن في دجلة فصلحت أسعارهم.

ولما فرغ المعتصم من الخطط، ووضع الأساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة، وهو جانب سر من رأى، عقد جسراً إلى الجانب الغربي من دجلة، فأنشأ هناك العمارات والبساتين والأجنة حفر الأنهار من دجلة، وصير إلى كل قائد عمارة ناحية من النواجي، وحمل النخل من بغداد، والبصرة، وسائر السواد، وحملت الغروس من الجزيرة، والشأم، والجبل، والري، وخراسان، وسائر البلدان، فكثرت المياه في هذه العمارة في الجانب الشرقي بسر من رأى، وصلح النخل، وثبتت الأشجار، وزكت الثمار، وحسنت الفواكه، وحسن الريحان والبقل، وزرع الناس أصناف الزرع والرياحين والبقول والرطاب. وكانت الأرض مستريحة ألوف سنين، فزكا كل ما غرس فيها، وزرع بها حتى بلغت غلة العمارات بالنهر المعروف بالأسحاقي وما عليه، والأيتاخي، والعمري، والعبد الملكي، ودالية ابن حماد، والمسروري، وسيف، والعربات المحدثة وهي خمس قرى، والقرى السفلى وهي سبع قرى، والأجنة، والبساتين، وخراج الزرع أربع مائة ألف دينار في السنة. وأقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملاً من الأعمال، أو يعالج مهنة من مهن العمارة، والزرع، والنخل، والغروس، وهندسة الماء، ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض. وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الخزف. ومن يعمل الأدهان، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة. فأنزلوا بعيالهم بهذه المواضع، وأقطعوا فيها، وجعل هناك أسواقاً لأهل المهن بالمدينة.

وبنى المعتصم العمارات قصوراً وصير في كل بستان قصراً، فيه مجالس وبرك وميادين، فحسنت العمارات،

ورغب وجوه الناس في أن يكون لهم بها أدنى أرض، وتنافسوا في ذلك. وبلغ الجريب من الأرض مالاً كبيراً، ومات المعتصم بالله سنة سبع وعشرين ومائتين، وولي الخلافة هارون الواثق بن المعتصم، فبنى الواثق القصر المعروف بالهاروني على دجلة، وجعل فيه مجالس في دكة شرقية، ودكة غربية. وانتقل إليه وزادت الأقطاعات، وقرب قوماً، وباعد ديار قوم على الأحظاء، لا على الابعاد؛ فأقطع وصيفاً دار أفشين التي بالمطيرة، وانتقل وصيف عن داره القديمة إلى دار أفشين، و لم يزل يسكنها، وكان أصحابه ورجاله حوله. وزاد في الأسواق، وعظمت الفرض التي تردها السفن من بغداد، وواسط، والبصرة، والموصل؛ وجدد الناس البناء، وأحكموه وأتقنوه لما علموا أنها قد صارت مدينة عامرة، وكانوا قبل ذلك يسمونها العسكر. ثم توفي الواثق في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وولي جعفر المتوكل بن المعتصم، فنزل الهاروني وأثره على جميع قصور المعتصم، وأنزل ابنه محمد المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق، وأنزل ابنه، إبراهيم المؤيد بالمطيرة، وأنزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له: بلكوارا؛ فاتصل البناء من بلكوارا إلى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ. وزاد في شوارع الحير شارع الأسكر والشارع الجديد. وبنى المسجد الجامع في أول الحير في موضع واسع خارج المنازل، لا يتصل به شيء من القطائع والأسواق، وأتقنه، ووسعه، وأحكم بناءه، وجعل فيه فوارة ماء لا ينقطع ماؤها، وجعل الطرق إليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي إبراهيم بن رياح، في كل صف حوانيت، فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء، لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد، إذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله، ومن كل صف إلى الصف الذي يليه دروب وسكك، فيها قطائع جماعة من عامة الناس، فاتسعت على الناس المنازل والدور، واتسع أهل الأسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والأسواق التي في صفوف المسجد الجامع. وأقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف، مما يلي قبلة المسجد. وأقطع أحمد بن إسرايل الكاتب أيضاً بالقرب من ذاك. وأقطع محمد بن موسى المنجم وأخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم.

وعزم المتوكل أن يبتني مدينة ينتقل إليها، وتنسب إليه، ويكون له بها الذكر، فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعاً، فوقع اختيارهم على موضع يقال له: الماحوزة. وقيل له: إن المعتصم قد كان على أن يبني هاهنا مدينة، ويحفر نهراً، قد كان في الدهر القديم. فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة خمس وأربعين ومائتين، ووجه في حفر ذلك النهر، ليكون وسط المدينة، فقدر النفقة على النهر ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، فطاب نفساً بذلك ورضي به، وابتدأ الحفر وأنفقت

الأموال الجليلة على ذلك النهر، واختط موضع قصوره ومنازله، وأقطع ولاة عهوده، وسائر أولاده، وقواده، وكتابه، وجنده، والناس كافة. ومد الشارع الأعظم من دار أشناس التي بالكرخ، وهي التي صارت للفتح بن خاقان، مقدار ثلاثة فراسخ إلى قصوره، وجعل دون قصوره ثلاثة أبواب عظام جليلة، يدخل منها الفارس برمحه. وأقطع الناس يمنة الشارع الأعظم ويسرته، وجعل عرض الشارع الأعظم مائتي ذراع، وقدر أن يحفر في جنبي الشارع نهرين، يجري فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره، وبنيت القصور، وشيدت الدور، وارتفع البناء، وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جد في البناء أجازه وأعطاه، فجد الناس وسمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية، واتصل البناء من الجعفرية إلى الموضع المعروف بالدور، ثم بالكرخ وسر من رأى ماداً إلى الموضع الذي كان ينزله ابنه أبو عبد الله المعتز، ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج، ولا موضع، لا عمارة فيه، فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ. وارتفع البنيان في مقدار سنة، وجعلت الأسواق في موضع معتزل، وجعل في كل مربعة وناحية سوقاً، وبنى المسجد الجامع، وانتقل المتوكل إلى قصور هذه المدينة أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين. فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية، ووصلهم وأعطى جميع القواد والكتاب، ومن تولى عملاً من الأعمال، وتكامل له السرور. وقال: الآن علمت أني ملك، إذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها. ونقلت الدواوين ديوان الخراج وديوان الضياع، وديوان الزمام، وديوان الجند والشاكرية، وديوان الموالي والغلمان، وديوان البريد وجميع الدواوين. إلا ان النهر لم يتم أمره و لم يجر الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً، لم يكن له اتصال ولا استقامة، على أنه قد أنفق عليه شبيهاً بألف ألف دينار، ولكن كان حفره صعباً جداً إنما كانوا يحفرون حصاً وأفهاراً لا يعمل فيها المعاول.

وأقام المتوكل نازلاً في قصوره بالجعفرية تسعة أشهر وثلاثة أيام، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، في قصره الجعفري، أعظم القصور شؤماً. وولي محمد المنتصر بن المتوكل فانتقل إلى سر من رأى، وأمر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة، وأن يهدموا المنازل ويحملوا النقض إلى سر من رأى، فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل إلى سر من رأى، وخربت قصور الجعفري، ومنازله، ومساكنه، وأسواقه في أسرع مدة. وصار الموضع موحشاً لا أنيس به، ولا ساكن فيه، والديار بلاقع كأنها لم تعمر، و لم تسكن. ومات المنتصر بسر من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين. وولي المستعين أحمد بن محمد ابن المعتصم، فأقام بسر من رأى سنتين وثمانية أشهر، حتى اضطربت أموره فانحدر إلى بغداد في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين، فأقام بها يحارب أصحاب المعتز سنة كاملة، والمعتز بسر من رأى معه الأتراك وسائر الموالي. ثم خلع المستعين وولي المعتز، فأقام بها حتى قتل ثلاث سنين وسبعة أشهر بعد خلع المستعين، وبويع محمد المهتدي ابن الواثق في رجب سنة خمس وخمسين ومائتن، فأقام حولاً

كاملاً يترل الجوسق، حتى قتل رحمه الله. وولي أحمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي بسر من رأى، فبنى قصراً موصوفاً بالحسن سماه المعشوق، فترله فأقام به حتى اضطربت الأمور، فانتقل إلى بغداد، ثم إلى المدائن.

ولسر من رأى منذ بنيت وسكنت إلى الوقت الذي كتبنا فيه كتابنا هذا خمس وخمسون سنة ملك بها ثمانية خلفاء، مات وقتل فيها خمسة: المعتصم، والواثق، والمنتصر، والمعتز، والمهتدي. وقتل في حريمها وفيما هو متصل بها وقريب منها اثنان: المتوكل والمستعين. واسمها في الكتب المتقدمة زوراء بني العباس، ويصدق ذلك أن قبل مساجدها كلها مزورة فيها ازورار، ليس فيها قبلة مستوية إلا أنها لم تخرب و لم يذهب اسمها.

قد ذكرنا بغداد وسر من رأى، وبدأنا بهما لأنهما مدينتا الملك، ودارا الخلافة. ووصفنا ابتداء أمر كل واحدة منهما. فلنذكر الآن سائر البلدان، والمسافات فيما بين كل بلد وبلد، ومدينة ومدينة، على قسم أربعة حسب ما تقسم عليه أقطار الأرض بين المشرق والمغرب، ومهب الجنوب، وهو القبلة، وهو مطلع سهيل الذي يسميه الحساب التيمن، ومهب الشمال وهو كرسي بنات نعش، الذي يسميه الحساب الجدي ونصف كل بلد إلى الربع الذي هو منه، والذي يتصل به وبالله التوفيق.

الربع الأول وهو ربع المشرق

من بغداد إلى الجبل وآذربيجان وقزوين وزنجان وقم وأصبهان والري وطبرستان وجرجان وسجستان وخراسان، وما اتصل بخراسان من التبت وتركستان.

كور الجبل

من أراد أن ينفذ من بغداد مشرقاً، نفذ من جانبها الشرقي من دجلة، ثم أخذ مشرقاً إلى موضع يقال له ثلاثة، أبواب وهو آخر بغداد مما يلي المشرق، ثم استقام به المسير إلى جسر النهروان، هو بلد جليل قديم على نهر يأخذ من نهر يأتي من الجبل، يقال له تامرا. ثم يسقي بعده طساسيج من طساسيج السواد، وتجري فيه المراكب العظام، والسفن الكبرى، فإذا عبر جسر النهروان تشعبت به طرق الجبل، فإن أراد أن يأخذ على كور ماسبذان ومهرجانقذق والصيمرة، أخذ ذات اليمين عند عبوره جسر النهروان، فسار ست مراحل إلى مدينة ماسبذان، وهي مدينة يقال لها السيروان، جليلة القدر، عظيمة واسعة، بين جبال وشعاب، وهي أشبه المدن بمكة، وفيها عيون ماء منفجرة، تجري في وسط المدينة إلى أنهار عظام، تسقي

المزارع والقرى والضياع والبساتين على مسافة ثلاثة أيام، وهذه العيون حارة في الشتاء، باردة في الصيف، وأهل هذه المدينة أخلاط من العرب والعجم.

الصيمرة

ومن مدينة السيروان إلى مدينة الصميرة وهي مدينة كورة تعرف بمهرجانقذق- مرحلتان. ومدينة الصيمرة في مرج أفيح، فيه عيون وأنهار تسقي القرى والمزارع، وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم، من الفرس والأكراد، وافتتحت ما سبذان والصيمرة في خلافة عمر بن الخطاب. وخراج هذا البلد يبلغ ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم، وكلامهم بالفارسية.

ومن أراد من بغداد إلى حلوان، أخذ من جسر النهروان ذات اليسار، فصار إلى دسكرة الملك، وبها منازل لملوك الفرس عجيبة البناء جليلة حسنة؛ ثم صار من دسكرة الملك إلى طرارستان، وبها آثار لملوك الفرس عجيبة موصوفة، وفيها أنهار بعضها فوق بعض، معقودة بالجص والآجر، وبعض تلك الأنهار يأخذ من القواطيل، وبعضها يأخذ من النهروان. ومن طرارستان إلى جلولاء الوقيعة، وهي أول الجبل، وفيها كانت الوقعة أيام عمر بن الخطاب بالفرس لما لحقهم سعد بن أبي وقاص، ففض الله جموع الفرس وشردهم، وذلك في سنة تسع عشرة من الهجرة. ومن جلولاءه إلى خانقين وهي من أجل القرى وأعظمها أمراً، ومن خانقين إلى قصر شيرين، تشيرين امرأة كسرى، كانت تصيف بهذا القصر، وبهذا الموضع آثار لملوك الفرس كثيرة، ومن قصر شيرين إلى حلوان.

حلوان

ومدينة حلوان مدينة جليلة كبيرة، وأهلها أخلاط من العرب والعجم من الفرس والأكراد، افتتحت أيام عمر بن الخطاب. وخراج حلوان على أنها من كور الجبل، داخل في خراج طساسيج السواد. ومن مدينة حلوان إلى المرج المعروف بمرج القلعة، وبهذا الموضع دواب الخلفاء في المروج، ومن مرج القلعة إلى الزبيدية، ثم منها إلى مدينة قرماسين، وقرماسين مدينة جليلة القدر، كثيرة الأهل، أكثر أهلها العجم من الفرس والأكراد، ومن مدينة قرماسين إلى الدينور ثلاث مراحل.

الدينور

والدينور مدينة جليلة القدر، وأهلها أخلاط من الناس، من العرب والعجم. افتتحت أيام عمر وهي التي

تسمى ماه الكوفة، لأن مالها كان يحمل في أعطيات أهل الكوفة، ولها عدة أقاليم ورساتيق، ومبلغ خراجها سوى ضياع السلطان خمسة آلاف ألف وسبعمائة ألف درهم.

قزوين وزنجان

ومن أراد من الدينور إلى فزوين وزنجان، خرج من الدينور إلى مدينة أبهر، وتشعبت به الطرق، فإن قصد زنجان كان مسيره من أبهر إلى زنجان، ثم سار إلى مدينة قزوين، وقزوين عادلة عن معظم الطريق، وهي في سفح جبل يتاخم الديلم، ولها واديان يقال لأحدهما الوادي الكبير، وللآخر وادي سيرم يجري فيهما الماء في أيام الشتاء، وينقطع في أيام الصيف. وأهلها أخلاط من العرب والعجم، وبها آثار للعجم وبيوت نيران، وخراجها مع خراج زنجان ألف ألف وخمسمائة ألف، وتشعب منها الطرق إلى همذان، إلى الدينور، وإلى شهر زور، وإلى آصبهان، وإلى الري، والطريق منها إلى أذربيجان.

آذربيجان

فمن أراد إلى آذربيجان، خرج من زنجان، فسار أربع مراحل إلى مدينة أردبيل، وهي أول ما يلقاه من مدن آذربيجان. ومن أردبيل إلى برزند من كور آذربيجان مسيرة ثلاثة أيام، ومن برزند إلى مدينة ورثان من كور آذربيجان، ومن ورثان إلى البيلقان، ومن البلقان إلى مدينة المراغة، وهي مدينة آذربيجان العليا. ولآذربيجان من الكور أردبيل، وبرزند، وورثان، وبرذعة، والشيز، وسراة، ومرند، وتبريز، والميانج، وأرمية، وخوي، وسلماس. وأهل مدن آذربيجان وكورها أخلاط من العجم الآذرية والجاودانية القدم أصحاب مدينة البد التي كان فيها بابك، ثم نزلتها العرب لما افتتحت، وافتتحت آذربيجان سنة اثنتين وعشرين، افتتحها المغيرة بن شعبة الثقفي في خلافة عثمان بن عفان؛ وخراجها أربعة آلاف ألف درهم، يزيد في سنة وينقص في أخرى.

همذان

ومن أراد من الدينور إلى مدينة همذان، خرج من مدينة الدينور إلى موضع يقال له محمداباذ مرحلتين، ومن محمداباذ إلى همذان مرحلتان. وهمذان بلد واسع جليل القدر، كثير الأقاليم والكور، وافتتح سنة ثلاث وعشرين، وخراجه ستة آلاف ألف درهم. وهو الذي يسمى ماه البصرة. كان خراجه يحمل في أعطيات أهل البصرة، وشرب أهلها من عيون وأودية تجري شتاء وصيفاً، وبعضها يجري إلى السوس من كور الأهواز، ثم يمر إلى دجيل نهر الأهواز إلى مدينة الأهواز.

نـهاوند

ومن همذان إلى نهاوند مرحلتان، ونهاوند مدينة جليلة، كان فيها اجتماع الفرس لما لقيهم النعمان بن مقرن المزني سنة إحدى وعشرين.

ولها عدة أقاليم، يسكنها أخلاط من العرب والعجم، وخراجها سوى مال الضياع ألفا ألف درهم.

الكرج

ومن نهاوند إلى مدينة الكرج مرحلتان، والكرج منازل عيسى بن ادريس بن معقل بن شيخ بن عمير العجلي أبي دلف، و لم تكن في أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت في عداد القرى العظام، من رستاق يسمى فائقاً، من كورة أصبهان، منها إلى مدينة أصبهان ستون فرسخاً. فترلها العجليون فبنوا الحصون والقصور؛ فقصورها تنسب إلى أبي دلف وأخوته وأهل بيته.

وأضيف إليها أربعة رساتيق: فأحدها يقال له: الفائقين، وجابلق، وبرقروذ، والكرج. بين أربعة جبال عامرة بالضياع، والمزارع، والقرى، وأنهار مطردة، وعيون جارية، وأهلها قوم من العجم إلا من كان من آل عيسى بن ادريس العجلي، ومن انضوى إليهم من سائر العرب، وكان خراج الكرج ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف مقاطعة، فيها من الرساتيق ألف ألف درهم. وعن الأشربة أربعمائة ألف، ثم انتقص ذلك في أيام الواثق، فبلغ ثلاثة آلاف ألف وثلثمائة ألف درهم.

قم وما يضاف إليها

ومن أراد إلى قمّ، خرج من مدينة همذان كالمشرق، فسار في رساتيق همذان. ومن مدينة همذان إلى مدينة قمّ خمس مراحل. ومدينة قمّ الكبرى يقال لها منيجان، وهي جليلة القدر يقال: إن فيها ألف درب، وداخل المدينة حصن قديم للعجم، وإلى جانبها مدينة يقال لها كمندان. ولها وادٍ يجري فيه الماء بين المدينتين، عليه قناطر معقودة بحجارة، يعبر عليها من مدينة منيجان إلى مدينة كمندان،وأهلها الغالبون عليها قوم من مذحج ثم من الأشعريين، وبها عجم قدم، وقوم من الموالي، يذكرون أنهم موال لعبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ولها نهران أحدهما: من أعلى المدينة يعرف برأس المور. والآخر: في أسفل المدينة يعرف بفوروز. وهما من عيون تجري في قنوات محفورة.

وهي في مرج واسع مقدار عشرة فراسخ، ثم تصير إلى جبالها، فمنها جبل يعرف برستاق سرداب، وجبل

يعرف بالملاحة. ولها اثنا عشر رستاقاً: رستاق ستارة ورستاق كرزمان ورستاق الفراهان ورستاق وره ورستاق طيرس ورستاق كوردر ورستاق وردراه ورستاق سرداب ورستاق براوستان ورستاق مراحه ورستاق قارص ورستاق هندجان.

وأكثر شرب أهل المدينة في الصيف من الآبار. والطرق تتشعب منها إلى الري وإلى أصبهان وإلى الكرج وإلى همذان، وخراجها أربعة آلاف ألف وخمسمائة ألف درهم.

أصبهان

ومن قمّ إلى أصبهان ستون فرسخاً، تكون ست مراحل. ولأصبهان مدينتان يقال لأحداهما جيّ، والمدينة الأخرى يقال لها اليهودية. وأهلها أخلاط من الناس، وعربها قليل، وأكثر أهلها عجم من أشراف الدهاقين. وبها قوم من العرب انتقلوا إليها من الكوفة والبصرة من ثقيف، وتميم، وبني ضبة وخزاعة، وبني حنيفة، ومن بني عبد القيس وغيرهم. ويقال إن سلمان الفارسي رحمه الله عليه، كان من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جيان، فيما يقول أهل أصبهان أدارةً، ولأهل أصبهان مياه كثيرة، من أودية وعيون تجري إلى الأهواز من أصبهان إلى تستر ثم إلى مناذر الكبرى، ثم إلى مدينة الأهواز.

وافتتحت أصبهان سنة ثلاث وعشرين ومبلغ خراجها عشرة آلاف ألف درهم، ولها من الرساتيق: رستاق جيّ: وفيه المدينة.

ورستاق برآن: وأهلها دهاقين لا يخالطهم غيرهم.

ورستاق برخار فيه قوم من الدهاقين أيضاً.

ورستاق رويدشت: وهو الحد بين أصبهان وبين كورة من كور فارس، يقال لها يزد.

ورستاق البران.

ورستاق ميربن.

ورستاق القامدان: وفيه الأكراد وأخلاط من العجم، ليسوا من الشرف كغيرهم، ومنه خرجت الخرميَّة، وهو الحد بين عمل أصبهان وعمل الأهواز.

ورستاق فهمان: وفيه الأكراد أيضاً والخرميَّة.

ورستاق فريدين: وبه العجم السفلة، الذين يسميهم أشراف عجم أصبهان الليبه.

ورستاق الرادميلة.

ورستاقا سردقلسان وجرمقاسان: فيهما أشراف من الدهاقين، وقوم من العرب من أهل اليمن من همذان، وهما الحد بين عمل أصبهان وقمَّ.

ورستاق أردستان به جلة من الدهاقين، ويقال إن بهذا الموضع ولد كسرى أنوشروان.
ورستاق التيمري: وهما رستاقان يسكنهما قوم من العرب، من بني هلال وغيرهم من بطون قيس، وهو الحد بين عمل أصبهان والكرج.

الري

ومن كان قصده إلى الري خرج من مدينة الدينور إلى قزوين، ثم سار من قزوين ثلاث مراحل على جادة الطريق.
والريُّ على جادة طريق خراسان، واسم مدينة الريّ المحمدية، وإنما سميت بهذا الاسم لأن المهدي نزلها في خلافة المنصور، لما توجه إلى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وبناها وبها ولد الرشيد. لأن المهدي أقام بها عدة سنين، وبنى بها بناءً عجيباً، وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد. وأهل الري أخلاط من العجم، وعربها، افتتح الريَّ قرظة بن كعب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب، سنة ثلاث وعشرين. وشرب أهلها من عيون كثيرة، وأودية عظام، وبها وادٍ عظيمٍ يأتي من بلاد الديلم، يقال له نهر موسى، ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وأجنته، وأشجاره؛ وله رساتيق وأقاليم، وبه ضياع اسحاق بن يحيى بن معاذ، وضياع أبي عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون، وهما جميعاً من أهل الريّ، ومبلغ خراجه عشرة آلاف ألف درهم.

قومس

ومن الريّ إلى قومس على جادة الطريق، والخط الأعظم اثنتا عشرة مرحلة، بعضها في عمارة، وبعضها في مفاوز.

وقومس بلد واسع جليل القدر، واسم المدينة الدامغان، وهي أول مدن خراسان. افتتحه عبد الله ابن عامر بن كريز، في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاثين وأهلها قوم عجم، وأحذق قوم يعملون أكسية الصوف القومسية الرفيعة. وخراجه يبلغ ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، إلا أنه يدخل في خراج خراسان. وأما البلد الذي يلي بحر الديلم من خراسان، فمن الريّ إلى طبرستان، ومدينة طبرستان سارية من الريّ إليها سبع مراحل.

طبرستان

وإلى مدينة طبرستان الثانية وهي التي يقال لها آمل مرحلتان، ومدينة آمل على بحر الديلم.
وطبرستان بلد منفرد، له مملكة جليلة، و لم يزل ملكه يسمى الأصبهبذ، وهي بلد المازيار، الذي كان يكتب إلى الخلفاء إلى المأمون، وإلى المعتصم من جيل جيلان أصبهبذ خراسان المازيار محمد بن قارن موالي أمير المؤمنين، لا يقول مولى أمير المؤمنين. وهو بلد كثير الحصون، منيع بالأودية، وأهله أشراف العجم، أبناء ملوكهم، وهم أحسن قوم وجوهاً. يقال إن كسرى يزدجرد خلف به جواريه، فحسنت وجوه أهله من قبل أولئك الجواري، لأن أهل طبرستان أولادهن. وخراج البلد أربعة آلاف ألف درهم؛ يعمل به الفرش الطبري والأكسية الطبرية.

جرجان

ومن الريّ إلى جرجان سبع مراحل، ومدينة جرجان على نهر الديلم، افتتح بلد جرجان سعيد بن عثمان في ولاية معاوية، ثم انغلقت وارتد أهلها عن الإسلام، حتى افتتحها يزيد بن المهلب في ولاية سليمان بن عبد الملك بن مروان. وخراج البلد عشرة آلاف ألف درهم، وفيه يعمل جيد الخشب من الخلنج وغيره، وأصناف ثياب الحرير، وبه الإبل البخاتي العظام، وبأرض جرجان النخل الكثير.

طوس

ويتصل بهذه البلدان مما يلي بحر الديلم من كور نيسابور وما والاها طوس، وهي من نيسابور على مرحلتين. وبطوس قوم من العرب من طيء وغيرهم، وأكثر أهلها عجم، وبها قبر الرشيد أمير المؤمنين. وبها توفي الرضى عليُّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام.
ومدينة طوس العظمى يقال لها نوقان. وخراج البلد مع خراج نيسابور، ومن طوس إلى نسا، من كورة نيسابور مرحلتان ومن نسا إلى باورد مرحلتان، ومن نسا إلى خوارزم لمن أخذ مشرقاً ثماني مراحل، وخوارزم على آخر نهر بلخ في الموضع الذي يخرج ماء نهر بلخ منه إلى بحر الديلم، وهو بلد واسع، افتتحه سلم بن زياد ابن أبيه في أيام يزيد بن معاوية، وبه تعمل الفراء، وسائر الوبر من السمور، والفنك، والقاقم، والوشق، والسنجاب. فهذه الكور التي دون نهر بلخ من أرض خراسان. ونهر بلخ يخرج من عيون بين جبال، وبين فوهته وبين مدينة بلخ عشر مراحل.

نيسابور

ومن قومس على جادة الطريق الأعظم إلى مدينة نيسابور تسع مراحل. ونيسابور بلد واسع كثير الكور فمن كور نيسابور: الطبسين، وقوهستان، ونسا، وبيورد، وأبرشهر، وجام، وباخرز، وطوس، ومدينة طوس العظمى يقال لها نوقان، وزوزن، واسفرائين على جادة طريق جرجان.

افتتح البلد عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان سنة ثلاثين، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، وشربها من العيون والأودية. وخراجها يبلغ أربعة آلاف ألف درهم، وهو داخل في خراج خراسان، وبها يعمل في جميع نواحيها الثياب. نزل عبد الله بن طاهر مدينة نيسابور و لم يتعدها إلى مرو، على حسب ما كانت الولاة تفعل، وبنى بها بناءً عجيباً الشاذياخ، ثم بنى المنار. أعلمني بعض أهل طاهر أن من نيسابور إلى مرو عشر مراحل، ومن نيسابور إلى هراة عشر مراحل، ومن نيسابور إلى جرجان عشر مراحل، ومن نيسابور إلى الدامغان عشر مراحل، ومن نيسابور على جادة الطريق والخط الأعظم إلى سرخس ست مراحل، أول المراحل قصر الريح يقال له بالفارسية دزباد، ثم خاكساره، ثم مزدوران، ولها عقبة طين.

وسرخس بلد جليل، ومدينتها عظيمة وهي في برية في رمال، فيها أخلاط من الناس. افتتحها عبد الله بن خازم السلمي، وهو يومئذ من قبل عبد الله ابن عامر بن كريز في خلافة عثمان. وشرب أهلها من الآبار، ليس لها نهر ولا عين، وبها قوم من.... ومبلغ خراجها ألف ألف درهم وهو داخل في خراج خراسان.

مرو

ومن سرخس على الخط الأعظم إلى ست مراحل أولها: أشترمغاك، ثم تلستانة، ثم الدندانقان، ثم كنوكرد، وهي ضياع آل علي ابن هشام بن فرخسرو، وهذه المنازل في مفازة برية، وكل مترل منها فيه حصن يتحصن أهله فيه من الترك، لأنهم ربما طرقوا بعض هذه المنازل.

ثم مرو وهي أجل كور خراسان، افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي، وهو من قبل عبد الله بن عامر في خلافة عثمان، ويقال إن الأحنف بن قيس حضر فتحها وذلك في سنة إحدى وثلاثين وأهلها أشراف من دهاقين العجم، وبها قوم من العرب من الأزد، وتميم وغيرهم. وهي كانت منازل ولاة خراسان. فكان أول من نزلها المأمون، ثم من ولي خراسان بعد، حتى نزل عبد الله بن طاهر نيسابور. وشرب أهل مرو من عيون تجري، وأودية. وخراجها داخل في خراج خراسان، وبها جيد الثياب الموصوفة من ثياب خراسان، ولها من الكور: كورة زرق، وأرم كيلبق، وسوسقان، وجرارة.

ومن مرو إلى آمل ست مراحل: أولها كشماهن منها الزبيب الكشمهاني، وسائر المراحل في برية وحصون، فهذا ما على الخط الأعظم من كور خراسان. وشرب أهل آمل من الآبار إلا ما كان يقرب

منها من جيحون، وهو نهر بلخ. فأما ما عن يمين الخط الأعظم مما يلي بحر الهند، فهو من نيسابور إلى هراة ذات اليمين للمشرق عشر مراحل، وهراة من أكثر بلاد خراسان عمارة، وأحسنه وجوه أهل، افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان. وأهلها أشراف من العجم، وبها قوم من العرب. وشربها من العيون والأودية، وخراجها داخل في خراج خراسان.

بوشنج

ومن هراة إلى بوشنج مرحلة. وبوشنج بلد طاهر بن الحسين ابن مصعب، افتتحها أوس بن ثعلبة التيمي، والأحنف بن قيس، وهما من قبل عبد الله بن عامر في خلافة عثمان. وأهلها أخلاط من العجم وبها عرب يسير.

باذغيس

ومن بوشنج إلى باذغيس ثلاث مراحل. افتتح باذغيس عبد الرحمن ابن سمرة في أيام معاوية بن أبي سفيان.

سجستان

ومن بوشنج إلى سجستان خمس مراحل، ويقال سبع مراحل في مجابة. وهو بلد جليل، ومدينتها العظمى بست. نزلها معن بن زائدة الشيباني، وكان فيها في خلافة أبي جعفر المنصور. وأهلها قوم من العجم، وأكثرهم يقولون إنهم ناقلة من اليمن من حمير، ولها من الكور مثل ما بخراسان وأكثر، غير أنها منقطعة، متصلة ببلاد السند والهند، وكانت تضاهي خراسان وتوازيها. فمن كورها: كورة بست، وكورة جوين، وكورة رخج، وكورة خشك، وكورة بلمر، وكورة خواش.

وكورة زرنج العظمى: وهي مدينة الملك رتبيل، وهي أربعة فراسخ، حولها خندق، ولها خمسة أبواب، ولها نهر يشق في وسطها، يقال له الهندمند، وإليها صار تبع اليماني فأقام بها.

وكورة زالق. وكورة سناروذ: ولها نهر يقال له الهندمند، يأتي من جبال شاهقة، وليس يقطع إليها من بلد من البلدان إلا في مفازة، وهي تتاخم مكران من بلاد السند والقندهار. وأول من افتتحها الربيع بن زياد الحارثي، قطع المفازة وهي خمسة وسبعون فرسخاً، وبلغ إلى زرنج، وهي المدينة العظمى التي كانت الملوك بها، وذلك في خلافة عثمان، و لم يجز الموضع الذي يقال له القرنين، ثم صار إليها عبد الرحمن بن سمرة ابن حبيب بن عبد شمس، ثم انغلقت سجستان إلى خلافة معاوية. ثم ولي عبد الرحمن بن سمرة، فافتتح البلاد

وصار إلى كرمان فافتتحها، ثم رجع إلى سجستان فصالح أهلها، ثم انغلقت حتى صار إليها الربيع بن زياد الحارثي، ثم انغلقت حتى وليها عبيد الله بن أبي بكرة.

ولاة سجستان

الربيع بن زياد الحارثي لعبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان. وربعي بن كاس العنبري الكوفي من قبل عبد الله بن عباس في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. وعبد الرحمن بن سمرة أيضاً في أيام معاوية ومات بها. والربيع بن زياد الحارثي أيضاً من قبل زياد في أيام معاوية. وعبيد الله بن أبي بكرة من قبل زياد في أيام معاوية. عباد بن زياد بعد موت زياد ولي سجستان لمعاوية. ويزيد بن زياد من قبل يزيد ابن معاوية. وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي من قبل سلم بن زياد، ومات طلحة بن عبد الله بسجستان.

وعبد العزيز بن عبد الله ابن عامر من قبل القباع، وهو الحارث بن عبد الله المخزومي، عامل ابن الزبير على البصرة، وقدم مصعب بن الزبير العراق عاملاً من قبل أخيه فأقر عبد العزيز على سجستان، وكان شجاعاً فارساً. وعبد الله ابن عدي بن حارثة بن ربيع بن عبد العزيز بن عبد شمس من قبل عبد الملك بن مروان. وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية من قبل عبد الملك بن مروان. ثم عبد الله بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد من قبل أبيه.

وعبيد الله بن أبي بكرة من قبل الحجاج في أيام عبد الملك ابن مروان، ومات عبيد الله بن أبي بكرة بسجستان، ولما حضرت عبيد الله ابن أبي بكرة الوفاة استخلف ابنه أبا برذعة، ثم كتب الحجاج إلى المهلب ابن أبي صفرة بولاية سجستان مع خراسان، فولي المهلب سجستان وكيع ابن بكر بن وائل الأزدي، ثم ولى الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، وأشار الناس عليه أن لا يفعل، فلم يقبل فعصى وخالف على الحجاج، وسار إليه فحاربه، ثم رجع إلى سجستان منهزماً، وكتب الحجاج إلى رتبيل ملك سجستان في أخذ عبد الرحمن وحمله إليه، فأخذه وأوثقه وحمله مع رسل الحجاج فطرح عبد الرحمن نفسه من سطح كان عليه فاندقت عنقه ومات برخج، ووقع الصلح بين الحجاج ورتبيل ملك سجستان وولى الحجاج عمارة بن تميم اللخمي، وولى الحجاج عبد الرحمن بن سليم الكناني، ثم عزله الحجاج بعد سنة، وولى مسمع بن مالك بن مسمع الشيباني، وتوفي مسمع بسجستان، واستخلف ابن أخيه محمد بن شيبان بن مالك، فاستعمل الحجاج الأشهب بن بشر الكلبي من اهل خراسان، ثم ضم الحجاج سجستان مع خراسان إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، فبعث أخاه عمرو ابن مسلم، ثم كتب إليه

الحجاج أن يسير إلى سجستان بنفسه، فسار في سنة اثنتين وتسعين في أيام الوليد بن عبد الملك، وانصرف قتيبة عن سجستان، واستولى عليها عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي، فأقام مدة ثم بلغه عنه ما أنكره، فوجه مكانه منيع بن معاوية ابن فروة المنقري، وأمره أن يعذبه حتى يأخذ ما صار إليه، فلم يفعل منيع ذلك، فعزل قتيبة منيع بن فروة، واستعمل النعمان ابن عوف اليشكري، فعذب عبد ربه بن عبد الله حتى قتله، وولى سليمان ابن عبد الملك العراق يزيد ين المهلب بن أبي صفرة، فاستعمل يزيد على سجستان أخاه مدرك بن المهلب، فلم يعطه رتبيل شيئاً، فعزل يزيد ابن المهلب مدركاً أخاه وولى ابنه معاوين ابن يزيد بن المهلب.

ثم ولي عمر بن العزيز فاستعمل على العراق عدي بن أرطاة الفزاري، فولى عدي الجراح بن عبد الله الحكمي خراسان، وضم إليه سجستان، ثم عزله وولى عبد الرحمن ابن نعيم الغامدي، وكان على سجستان السري بن عبد الله بن عاصم بن مسمع، وأقره عمر بن عبد العزيز.

ثم ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان فولى ابن هبيرة الفزاري العراق، فاستعمل ابن هبيرة على سجستان القعقاع بن سويد بن عبد الرحمن بن أويس بن بجير بن أويس المنقري، من أهل الكوفة، ثم عزل ابن هبيرة القعقاع وولى السيال بن المنذر بن النعمان الشيباني، وفي كل هذه السنين رتبيل ممتنع عليهم.

وولي هشام بن عبد الملك بن مروان فولى العراق خالد بن عبد الله القسري، فولى سجستان يزيد ابن الغريف الهمداني من أهل الأردن، ورتبيل ممتنع. ثم عزل خالد ابن عبد الله القسري يزيد بن الغريف، وولى سجستان الأصفح بن عبد الله الكلبي، فلم يزل بسجستان، ثم عزله خالد وولى عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري، فلم يزل والياً حتى عزل خالد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلم يزل والياً حتى عزل خالد بن عبد الله، وولي يوسف بن عمر الثقفي، ولما ولي يوسف بن عمر العراق لهشام بن عبد الملك، ولى سجستان إبراهيم بن عاصم العقيلي، فصار إلى سجستان، وحمل عبد الله بن أبي بردة في وثاق إلى يوسف.

ثم ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فاستعمل على العراق منصور بن جمهور، فاستعمل منصور على سجستان يزيد بن عزان الكلبي.

ثم ولي العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فولى سجستان حرب بن قطن بن المخارق الهلالي، ثم وجه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ابن سعيد بن عمر بن يحيى بن العاص الأعوز فأخرجه أهل سجستان عن البلد، وافتعل بجير بن السلهب من بكر بن وائل عهداً على لسان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ووقع الشر بين بكر وتميم. وولي يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العراق فوجه إلى سجستان بعامر بن ضبارة

المري، فلم يبلغها، وجاءت دولة بني هاشم، فوجه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي إلى سجستان فقال: يا أهل سجستان، الحرب بيننا وبينكم حتى تدفعوا إلينا من قبلكم من أهل الشأم. فقالوا: نفتديهم ففدوهم بألف ألف وأخرجوه أهل الشأم من سجستان.

ثم وجه أبو مسلم عمر بن العباس بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة على سجستان وكان كثيراً عند أبي مسلم فقتل أهل سجستان أخاه إبراهيم بن العباس، ووقعت الحرب بينهم وبينه، فوجه إليه أبو مسلم أبا النجم عمران بن إسماعيل بن عمران وقال له: الحق عمر بن العباس فإن كان قد قتل فأنت أمير البلد. ثم ولى أبو جعفر المنصور إبراهيم ابن حميد المروروذي، ثم عزله وولى المنصور معن بن زائدة بن مطر بن شريك الشيباني، فنزل بست وحارب الممتنعين، وأساء معن الولاية ونال الناس منه كل بلاء، فدسوا السيوف في طنان القصب، ثم وثبوا عليه فقتلوه، والذي قتله رجل من أهل طاق- رستاق من رساتيق زرنج- وذلك في سنة ست وخمسين ومائة. وأقام يزيد بن مزيد بن زائدة يحارب القوم فوجه أبو جعفر تميم بن عمرو من بني تيم الله بن ثعلبة ليعين يزيد بن مزيد، فصار إلى البلد وحمل قوماً إلى أبي جعفر، وقدم يزيد بن مزيد العراق ثم عزل أبو جعفر تميم ابن عمرو، وولى سجستان عبيد الله بن العلاء من بني بكر بن وائل فمات أبو جعفر وهو عليها. ثم صارت مضمومة إلى عمال خراسان يولونها رجالاً من قبلهم، وذلك أن الشراة غلبت عليها وكثرت عليها. وخراج سجستان يبلغ عشرة آلاف ألف درهم يفرق في جيوشها وشحنتها وثغورها.

كرمان

وكرمان يمنة سجستان توازي الجوزجان. ومدينة كرمان العظمى السيرجان وهي منيعة جليلة، شجاعها بطل، ولها من المدن والقلاع: بيمند، وخناب، وكوهستان، وكرستان، ومغون، طمسكان، وسروستان، وقلعة بمّ، ومنوجان، ونرماشير. والبلد واسع جليل، ومياهها قليلة، وبها نخل كثير بمدينة يقال لها جيربت، ومنها يسلك إلى السند من جيربت إلى الرتق والدهقان، ثم إلى البل والفهرج، يسميها أهلها فهرة وهي آخر مدينة عمل كرمان: وصاحب مكران يدعي أنها من عمله ثم إلى الخروج وهي أول مدينة من عمل مكران، ثم إلى مدينة فنزبور، وهي مدينة مكران العظمى. افتتح كرمان عبد الرحمن ابن سمرة بن جبيب بن عبد شمس، وصالح ملكها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف وذلك في خلافة عثمان.

وأما البلدان التي من سرخس إلى بحر الهند:

الطالقان

فمن مدينة سرخس إلى الطالقان أربع مراحل. والطالقان بين جبلين عظيمين، وبها لسعتها مسجداً جماعة يجمع فيهما يوم الجمعة؛ وبها تعمل اللبود الطالقانية. ومن الطالقان إلى الفارياب أربع مراحل، فالفارياب المدينة القديمة والمدينة الثانية يقال لها يهودان يترلها عامل الفارياب.

الجوزجان

ومن الفارياب إلى الجوزجان خمس مراحل. ولها أربع مدن: فمدينة الجوزجان يقال لها أنبار بها يترل الولاة، والثانية يقال لها أسان وصمعاكن، والثالثة التي كان يسكنها ملك الجوزجان يقال لها كندرم وقرزمان، والرابعة يقال لها شبورقان، وكانت لها في الأيام المتقدمة مملكة. والجوزجان توازي كرمان على أرض الهند.

بلخ

ومن الجوزجان إلى بلخ لمن أخذ مشرقاً أربع مراحل. وبلخ لها كور ومدائن فتحها عبد الرحمن بن سمرة في أيام معاوية بن أبي سفيان. ومدينة بلخ مدينة خراسان العظمى، وفيها كان الملك طرخان ملك خراسان يترل بها، وهي عظيمة القدر، عليها سوران سور خلف سور. وقد كان عليها في متقدم الأيام ثلاثة ولها اثنا عشر باباً، ويقال إن مدينة بلخ وسط خراسان، فمنها إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مشرقاً، ومنها إلى الري ثلاثون مرحلة مغرباً، ومنها إلى سجستان ثلاثون مرحلة مما يلي القبلة، ومنها إلى كابل وقندهار ثلاثون مرحلة، ومنها إلى كرمان ثلاثون مرحلة، ومنها إلى قشمير ثلاثون مرحلة، ومنها إلى خوارزم ثلاثون مرحلة، ومنها إلى الملتان ثلاثون مرحلة.

وكان يحيط بقرى بلخ وضياعها ومزارعها سور عظيم، فمن باب من أبواب السور الذي يحيط بالمزارع والقرى إلى الباب الذي بإزائه اثنا عشر فرسخاً، وليس خارج السور عمارة، ولا ضيعة، ولا قرية، وإنما خارجها الرمال. ولهذا السور الأعظم الذي يحيط بأرض بلخ اثنا عشر باباً. وللسور الثاني الذي يحيط بربض المدينة أربعة أبواب، من السور الأعظم إلى السور الثاني خمسة فراسخ. ثم سور على المدينة بين سور الربض وسور المدينة فرسخ، وفي الربض النوبهار وهي منازل البرامكة، ومن باب سور المدينة إلى الباب الذي بإزائه فرسخ، فكان مساحة المدينة ثلاثة أميال في ثلاثة أميال. ولبلخ سبعة وأربعون منبراً في مدن ليست بالعظام، مدينة يقال لها خلم، ومدينة يقال لها سمنجان، ومدينة يقال لها بغلان، ومدينة يقال لها سكلكند، ومدينة يقال لها ولوالج، ومدينة يقال لها هوظة، ومدينة يقال لها آرهن، ومدينة يقال لها

راون، ومدينة يقال لها طاركان، ومدينة يقال لها نورس، ومدينة يقال لها بذخشان، ومدينة يقال لها جرم وهي آخر المدن المشرقية مما يلي بلخ إلى ناحية بلد التبت.

فأما المدن التي عن يمين المشرق: فأولها مدينة يقال لها أندراب، ومدينة يقال لها خست، ومدينة يقال لها بنجهار، ومدينة يقال لها بروان، ومدينة يقال لها غوروند، افتتحها الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في أيام الرشيد، وكانت ممتنعة وهي من مدن كابل شاه، فهذه المدن بين مدينة بلخ العظمى وبين الباميان. ثم مدينة الباميان وهي مدينة على جبل، وكان بها رجل دهقان يسمى أسداً، وهو بالفارسية الشير، فأسلم على يد مزاحم ابن بسطام في أيام المنصور، وزوج مزاحم بن بسطام ابنته بابنه محمد ابن مزاحم، ويكنى أبا حرب، فلما قدم الفضل بن يحيى خراسان وجه بابن له يقال له الحسن إلى غوروند فافتتحها مع جماعة من القواد، فملكه على الباميان وسماه باسم جده شير باميان، وهي من مدن طخارستان الأولى. وتخرج من جبل الباميان عيون ماء فيمر منها واد إلى القندهار مسافة شهر، ويمر نهر من شعب آخر إلى سجستان مسافة شهر، ويمر نهر آخر إلى مرو مسيرة ثلاثين يوماً، ويخرج نهر آخر إلى بلخ مسيرة اثني عشر يوماً، ونهر آخر إلى خوارزم مسير أربعين يوماُ، كل هذه الأنهار تخرج من جبل الباميان لارتفاعه، وفيه معادن نحاس ورصاص وزئبق.

وعن يسار المشرق من المدن يقال لها الترمذ، ومدينة يقال لها سرمنكان، ومدينة يقال لها دارزنكا، ومدينة يقال لها الصغانيان وهي أكبر المدن التي عن يسار المشرق من مدينة بلخ، ومدينة خرون، ومدينة يقال لها ماسند، ومدينة باساران، ومدينة يقال لها كبرسراع، ومدينة يقال لها قباذيان، ومدينة يقال لها يوز وهي بلد حاتم بن داود، ومدينة يقال لها وخش، ومدينة يقال لها هلاورد، ومدينة يقال لها كاربنك ومدينة يقال لها انديشاراع، ومدينة يقال لها روستابيك وهي مملكة الحارث بن أسد بن بيك صاحب الدواب البيكية، ومدينة يقال لها هلبك، ومدينة يقال لها منك وهي الحد إلى بلاد الترك إلى الموضع الذي يقال له راشت وكماد وبامر.

ومما يلي الشمال من مدن بلخ مدينة يقال لها درياهنين تفسيره باب الحديد، ومدينة يقال لها كش، ومدينة يقال لها نخشب، ومدينة يقال لها صغد ومنها إلى مملكة سمرقند.

فأما البلدان التي في تيمن نهر بلخ ونحو القبلة فمن بلخ نحو القبلة إلى تخارستان، وإلى أندراب، وإلى الباميان وهي أول ممالك طخارستان الدنيا الغربية وهي في جبل عظيم وقلعة منيعة، ثم إلى بذخشان، وإلى مدينة كابل شاه مدينة منيعة حصينة لا يوصل إليها يقال لها حررندس، لا يوصل إليها لما دونها من الجبال الخشنة، والمسالك الحزنة، والأودية الصعبة، والقلاع المنيعة، ولها طريق من كرمان، وطريق من سجستان،

وبها ملك منيع لا يكاد يؤدي الطاعة، إلا أن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك لما ولي خراسان للرشيد سنة ست وسبعين ومائة وجه إلى أرض كابل شاه جيوشاً عليهم إبراهيم بن جبريل وأنهض معه الملوك من بلاد طخارستان والدهاقين، وكان في الملوك الحسن الشير ملك باميان، فصاروا إلى البلاد وفتحوا مدينة الغوروند، وفج غوروند، وسارحود، وهدل استان وشاه بهار التي فيها الصنم الذي يعبدونه، فهدم وحرق بالنار واستأمن إلى الفضل بن يحيى من ملوك مدن كابل شاه أهل مدينة كاوسان مع عفرنكس ملكهم، وأهل مدينة المازران، وأهل مدينة منرحرد مع ملوكهم، فأعطاهم الأمان ووجهوا بالرهائن. ومدينة كابل العظمى التي يقال لها جروس افتتحها عبد الرحمن بن سمرة في خلافة عثمان بن عفان وهي منغلقة في هذا الوقت إلا أن التجار يدخلون إليها ويحملون منها الأهليلج الكابلي الكبار.

مرورود

وأما البلدان التي من مدينة مرو إلى مدينة بلخ فمن مدينة مرو إلى مرورود خمس مراحل. ومرورود افتتحها الأحنف بن قيس، وهو من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان سنة إحدى وثلاثين. ومن مرورود إلى بلخ ومن سلك منها إلى زم وهي على نهر بلخ وإلى آمل وهي على نهر بلخ أيضاً وبينها وبين مرو ست رحلات فهذه البلدان التي تلي بحر الهند من كور خراسان. فأما البلدان التي تيمن نهر بلخ: فالترمذ وهي مدينة جليلة على نهر بلخ الأعظم في الجانب الشرقي منه، لأن مدينة بلخ من الجانب الغربي من النهر، وهي مدينة آهلة واسعة. وإلى جانب الترمذ على النهر أيضاً مدينة القواذيان نظيرة الترمذ، ثم منها إلى مملكة هاشم بن بانيجور وهي وخش وهلاورد مدينتان جليلتان لهما منعة، ثم إلى مدينة شومان وهي متصلة بمملكة هاشم بن بانيجور وآل هاشم، ثم الأحديلي وهي مدينة داود بن أبي داود، ثم إلى الواشجرد وهي مدينة ثغر عظيم وبلد واسع فيه سبعمائة حصن حصينة، وذلك أنهم يغزون الترك، وبينهم وبين أرض ترك استان أربعة فراسخ. ومن الترمذ إلى الصغانيان أربع مراحل، والصغانيان بلد جليل واسع فيه كور وعدة مدن، فمن كوره حردن وبهاران وكاسك، ومن الصغانيان إلى مملكة الختل ثلاث مراحل، ومدينة الختل العظمى واشجرد وهي التي ذكرنا أن فيها سبعمائة حصن وأنها متاخمة الترك.

ختل

ومن الختل إلى تخارستان العليا ومملكة حماريك ملك شقنان وبذخشان، ومنه الوادي الأعظم إلى شقنان، وهذه كلها مملكة طخارستان العليا. وما كان من وراء نهر بلخ على الخط الأعظم فأول ذلك مدينة فربر

وهي ثغر أهل مرو، وذلك أن الترك تصير إلى هذه المدينة فينفر إليها أهل مرو وما اتصل بها، ومن فربر إلى باكند مرحلة، وباكند مدينة جليلة، وبها أخلاط من الناس، ومن باكند إلى مدينة بخارا مرحلتان.

بخارا

وبخارا بلد واسع فيه أخلاط من الناس من العرب والعجم، ولم يزل شديد المنعة. افتتح بخارا سعيد بن عثمان بن عفان في أيام معاوية ثم خرج عنها يريد سمرقند، فامتنع أهلها فلم تزل منغلقة حتى افتتحها سلم بن زياد في أيام يزيد بن معاوية، ثم انتقضت وامتنعت حتى صار إليها قتيبة بن مسلم الباهلي في أيام الوليد بن عبد الملك فافتتحها. وخراج البلد- أعني بلد بخارا- يبلغ ألف ألف درهم ودراهمهم شبيه بالنحاس.

الصغد

ومن بخارا إلى بلد الصغد لمن أخذ نحو القبلة سبع مراحل وبلد الصغد واسع، وله مدن جليلة منيعة حصينة منها: دبوسية، وكشانية، وكش، ونسف وهي نخشب. افتتح هذه الكور- أعني كور الصغد- قتيبة بن مسلم الباهلي أيام الوليد بن عبد الملك.

سمرقند

ومن كش إلى مدينة الصغد العظمى أربع مراحل. وسمرقند من أجل البلدان وأعظمها قدراً، وأشدها امتناعاً، وأكثرها رجالاً، وأشدها بطلاً، وأصبرها محارباً، وهي في نحر الترك. انغلقت سمرقند بعد أن افتتحت عدة مرار لمنعتها، وشجاعة رجالها، وشدة أبطالها، افتتحها قتيبة بن مسلم الباهلي في أيام الوليد بن عبد الملك، وصالح دهاقينها وملوكها. وكان عليها سور عظيم، فانهدم فبناه الرشيد أمير المؤمنين. ولها نهر عظيم يأتي من بلاد الترك كالفرات يقال له ناسف، يجري في أرض سمرقند، ثم إلى بلاد الصغد، ثم إلى أسروشنة، ويعم بلاد سمرقند وأشتاخنج وأسروشنة وشاش.
ومن سمرقند إلى أسروشنة مملكة أفشين خمس مراحل مشرقاً، ومملكة أسروشنة واسعة جليلة يقال أن فيها أربعمائة حصن، ولها عدة مدن كبار منها: أرسمندة، وزامن، ومانك، وحصنك، ولها واد عظيم، يأتي من ناسف نهر سمرقند، وتوجد في ذلك الوادي سبائك ذهب، وليس بخراسان ذهب بموضع من المواضع إلا ما بلغني أنه يوجد في هذا الوادي. وفي جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر، وربيعة، وسائر بطون

اليمن، إلا بأسروشنة فإنهم كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم حتى صار إليهم رجل من بني شيبان، فأقام هناك وتزوج فيهم. ومن مدينة أسروشنة إلى فرغانة مرحلتان.

فرغانة

ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان، وهي مدينة جليلة القدر، عظيمة الأمر، وكل هذه المدن مضافة إلى عمل سمرقند.

أشتاخنج

وأشتاخنج وهي مدينة جليلة، لها حصون ورساتيق، وكانت مملكة منفردة. وكان المعتصم قد جعل مملكة أشتاخنج إلى عجيف، ومنها إلى سمرقند مرحلتان، ومن فرغانة إلى الشاش خمس مراحل. والشاش مدينة جليلة من عمل سمرقند، ومن أخذ من سمرقند إلى الشاش سار إلى خجندة وهي مدينة من مدن سمرقند سبع مراحل، ثم من خجندة إلى الشاش أربع مراحل.

الشاش

ومن الشاش إلى ثغر أسبيشاب الأعظم مرحلتان. وهو البلد الذي يحارب منه الترك، وهو آخر عمل سمرقند. فهذا ما وراء النهر من مدن طخارستان والصغد وسمرقند والشاش وفرغانة على الخط الأعظم وما وراء ذلك ، فبلاد الشرك وعامة بلاد الترك المحيطة بخراسان وسجستان، فترك أستان والترك عدة أجناس وعدة ممالك فمنها الخرلخية، والتغزغر، وتركش، وكيماك، وغز. ولكل جنس من الترك مملكة منفردة، ويحارب بعضهم بعضاً، وليس لها منازل ولا حصون، وإنما ينزلون القباب التركية المضلعة، ومساميرها سيور من جلود الدواب والبقر، وأغشيتها لبود، وهم أحذق قوم بعمل اللبود لأنها لباسهم. وليس بترك أستان زرع إلا الدخن وهو الجاورس، وإنما غذاؤهم ألبان الحجور، ويأكلون لحومها، وأكثر ما يأكلون لحوم الصيد، والحديد عندهم قليل، وهم يعملون سهامهم من عظام إلا أنهم يحيطون بأرض خراسان، ويحاربون من كل ناحية ويغزون فليس بلد من بلدان خراسان إلا وهم الترك، وتحاربهم الترك من سائر الأجناس. فهذه مدن خراسان وسجستان وكورها ومسافة ما بين كل مدينة وأحوالها. فلنذكر الآن ولاتها مذ فتحت إلى هذه الغاية ومبلغ خراجها.

ولاة خراسان

أول من دخل خراسان عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس، كتب إليه عثمان بن عفان في سنة ثلاثين، وكان يومئذ على البصرة، وكتب إلى سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وكان عامله بالكوفة، يأمرهما بالنفوذ إلى خراسان ويقول لكل واحد منهما إنه إن سبق إلى خراسان فهو أمير عليها. وكان قد صار إلى عبد الله بن عامر كتاب ملك طوس فقال له: أنا أسبق بك على أن تملكني على نيسابور فسبق به، فكتب له كتاباً هو عند ولده إلى هذه الغاية، فافتتح عبد الله بن عامر عدة كور من خراسان في سنة إحدى وثلاثين، وكان على مقدمته عبد الله بن خازم السلمي وكان معه الأحنف بن قيس التميمي، ثم انصرف عبد الله بن عامر وولى خراسان قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي، وخلف معه الأحنف ابن قيس. ثم ولى عبد الله حاتم بن النعمان الباهلي، فأقام بخراسان يفتح ويغزو حتى قتل عثمان سنة خمس وثلاثين. وولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم على خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي، وكان قد قدم على علي بن أبي طالب عم وهو بالبصرة ماهويه مرزبان مرو، فصالحه وكتب له كتاباً وهو بمرو إلى هذه الغاية.

ولما قتل عليّ عم ولى معاوية عبد الله بن عامر خراسان فوجه إليها ابن عامر عبد الله بن خازم السلمي وعبد الرحمن بن سمرة فسارا جميعاً وحطا على بلخ حتى افتتحاها. ثم انصرف عبد الرحمن ابن سمرة فسلم خراسان إلى عبد الله بن خازم السلمي. ثم ولى معاوية زياد بن أبي سفيان البصرة وخراسان وسجستان، فوجه زياد إلى خراسان الحكم بن عمرو الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً، فخرج إلى خراسان سنة أربع وأربعين، وكان جميل السيرة، فاضل المذهب، وكتب إليه زياد لما افتتح ما افتتح من كور خراسان: أن أمير المؤمنين معاوية كتب إليَّ أن أصطفي له البيضاء والصفراء، فلا تقسمن شيئاً من الذهب والفضة، فلم يلتفت الحكم إلى كتابه، ورفع الخمس وقسم ما بقي بين الناس، وكتب إلى زياد أني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين معاوية، ولو أن السماء والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجاً والسلم.

وكان المهلب بن أبي صفرة أحد رجال الحكم بن عمرو، ومات الحكم بخراسان ثم وجه زياد الربيع بن زياد بن أنس بن الديان بن قطن بن زياد الحارثي أميراُ على خراسان، وكان الحسن البصري كاتبه. وولى معاوية خالد بن معمر السدوسي خراسان، فسار يريدها فدس إليه زياد سماً فمات، و لم يصل إلى خرسان. فولى زياد خراسان عبد الله ابن الربيع بن زياد مكان أبيه، ثم عزله، وولى عبد الرحمن بن سمرة ابن حبيب، ثم توفي زياد فأقر معاوية عبد الرحمن على سجستان، وولى عبيد الله بن زياد خراسان، وأنفذه في جيوش وأمره أن يعبر النهر من بلاد طخارستان، فخرج في جمع وغزا بلاد طخارستان، والمهلب ابن

أبي صفرة مدبر الأمر وصاحب الحرب، وأقام عبيد الله بن زياد بخراسان سنتين، ثم انصرف إلى معاوية واستخلف على خراسان أسلم ابن زرعة بن عمرو بن الصعق الكلابي، وولى معاوية عبيد الله البصرة، وولى أخاه عبد الله بن زياد خراسان، فاقام أربعة أشهر، وبلغه ضعفه ومهانته فعزله وولى معاوية بعد عبد الله بن زياد عبد الرحمن بن زياد خراسان فلم يحمده فعزله، وولى معاوية سعيد بن عثمان، وكان سعيد بن عثمان قد امتنع وكلمه بكلام غليظ فنفذ إلى خراسان وغزا سمرقند، ويقال إنه أول من قطع إلى ما وراء النهر، وغزا طخارستان وبخارا وسمرقند.

وكان على خراج خراسان أسلم بن زرعة الكلابي، فطلب من سعيد ابن عثمان المال فلم يعطه، وجعل يحمله إلى عبيد الله بن زياد، وهو أمير البصرة، ثم هرب أسلم بن زرعة من خراسان وكتب إلى معاوية بخبره، وإن سعيد بن عثمان أراد أخذ المال، فعزل معاوية سعيد بن عثمان، وولى أسلم ابن زرعة

خراسان، فخرج أسلم إلى خراسان حتى قدم مرو الشاهجان وبها سعيد بن عثمان بالرمح وكان أسلم في جمع كثيف فطعن بعض أصحابه سرادق بن عثمان فقتل جارية له، فكتب إلى معاوية فكتب إليه وإلى أسلم أن أقدما جميعاً عليَّ. وكان قثم بن العباس بن عبد المطلب قد خرج إلى سعيد بن عثمان فمات بمرو، وكان مالك بن الريب الشاعر مع سعيد ابن عثمان، وكان معه يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، فانصرف سعيد ابن عثمان عن خراسان وولى عبيد الله بن زياد أخاه عباد بن زياد خراسان. فخرج إليها فاستصحب يزيد بن مفرغ، فترك ابن مفرغ سعيداً وصحبه فلم يحمد صحبته، فهو حيث هجاه وهجا آل زياد. ثم ولى عبد الرحمن بن زياد خراسان فانصرف عنها واستخلف بها قيس بن الهيثم السلمي، ثم ولى يزيد ابن معاوية سلم بن زياد خراسان، وكان بينه وبين أخيه عبيد الله بن زياد عناد شديد فخرج معه المهلب بن أبي صفرة، وعبد الله بن خازم، وطلح بن عبد الله بن خلف الخزاعيٌّ وهو طلح الطالحات، وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، و عباد بن حصين الحبطي وعمران بن فصيل البرجمي وغير هؤلاء من وجوه الناس من أهل البصرة، فهدم عبيد الله بن زياد دور جميع من خرج مع أخيه، فكتب إليه يزيد بن معاوية أن يبنيها بالجص والآجر والساج من ماله فبناها.

وغزا سلم خوارزمي وافتتح مدينة كنداكين وبخارا، ومات يزيد ابن معاوية وكانت فتنة ابن الزبير فانصرف سلم واستخلف عرفجة بن الورد السعدي. وسار عبد الله ابن خازم السلمي مع سلم متبعاً له، فرده وكتب عهده على خراسان، فلما رجع امتنع عرفجة أن يسلم إليه، فتحاربوا بالسهام فأصاب عرفة سهم فمات وأقام عبد الله بن خازم بخراسان يغزو ويفتح، وهو في طاعة ابن الزبير إلى أن قتل عبد الملك بن مران مصعب بن الزبير، فوجه برأسه إلى عبد الله بن خازم، وكتب يدعوه إلى طاعته، فأخذ رأس

مصعب فغسله وحنطه وكفنه ودفنه، وأجاب عبد الملك جواباً غليظاً و لم يقبل ما جعل له عبد الملك بن مروان فوثب عليه أهل خراسان فقتلوه، قتله وكيع ابن الدورقية، وبايع لعبد الملك بن مروان وبعثوا برأسه إليه، ولما استقامت الأمور لعبد الملك بن مروان ولى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية ابن عبد شمس، فقطع أمية إلى ما وراء النهر وصار إلى بخارا، ثم خالف عليه بكير بن وشاح، فرجع و لم يزل أمية على خراسان حتى ولي الحجاج العراق، فلما ولي الحجاج كتب إلى عبد الملك يخبره أن أمر خراسان قد اضطرب فرد إليه الأمر، فولى المهلب بن أبي صفرة خراسان وولى عبيد الله بن أبي بكرة سجستان، ولما صار المهلب إلى خراسان أقام مدة ثم سار إلى طخارستان، ثم إلى كش مدينة الصغد، ثم اعتل المهلب، فرجع إلى مرورود وهو عليل من إكلة وقعت في رجله، ثم مات المهلب بخراسان وقد عهد إلى ابنه يزيد بن المهلب، فأقام مدة ثم عزل الحجاج يزيد بن المهلب، وولى المفضل بن المهلب خراسان، فلم يزل بخراسان حتى وثب الحجاج بيزيد بن المهلب وحبسه، ولما وثب الحجاج بيزيد بن المهلب كتب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان عامله بالريّ بولاية خراسان، وأمره أن يقبض على المفضل وسائر آل المهلب، فيحملهم إليه في الأصفاد، ففعل ذلك، وقدم قتيبة بن مسلم خراسان، فحمل المهلب إلى الحجاج، وصار إلى بخارا فافتتحها، ثم صار إلى الطالقان، وقد عصى باذام فحاربه حتى ظفر به وقتله. وولى الوليد بن عبد الملك وقتيبة بخراسان وقد جل أمره وقوي على البلد، وقتل نيزك طرخان، وسار إلى خوارزم ثم سار إلى سمرقند ففتحها، وصالح غوزك أخشيد سمرقند، وولى سليمان بن عبد الملك وتوفي الحجاج قبل ذلك بشهور، فولى يزيد بن المهلب العراق وأمره أن يقصد أسباب الحجاج، فلما بلغ قتيبة بن مسلم أراد أن يخلع فوثب عليه وكيع بن أبي سود التميمي فقتله، وأقام وكيع بخراسان وهو لا يشك أن سليمان يوليه خراسان، فلم يفعل وولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان مع العراق، فشخص يزيد بن المهلب إلى خراسان بنفسه، فتتبع أصحاب قتيبة وحبس وكيع بن أبي سود وناله بكل مكروه، وخالفت كور خراسان على يزيد ابن المهلب، ففرق أخوته وولده في كور خراسان وولاهم أعمالهم.

وولي عمر بن عبد العزيز بن مروان، فلما بلغ يزيد ولايته، شخص من خراسان واستخلف بها مخلداً ابنه، وتحمل بجميع أمواله، فأشار عليه قوم ألا يفعل، فلم يقبل ووافى البصرة، وقد عزله عمر بن عبد العزيز وولى عدي ابن أرطاة الفزاري، فأخذه عديٌّ بالشخوص إلى عمر فشخص فحبسه، وولى عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي خراسان، وأمره أن يأخذ مخلد بن يزيد بن المهلب فيستوثق منه ففعل، وقدمت وفود التبت عليه يسألونه أن يبعث إليهم من يبصرهم دين الإسلام، ثم عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله وولى عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وكتب إليه أن ينقل عيالات المسلمين وذراريهم مما وراء النهر إلى مرو فلم يفعلوا وأقاموا.

وولي يزيد بن عبد الملك بن مروان، فولى مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان، فولى مسلمة خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحارث ابن الحكم بن أبي العاص، فحارب ملك فرغانة، وحاصر خجندة من بلاد الصغد، وقتل وسبى ثم عزله مسلمة، وولى سعيد بن عمرو الحرشي من أهل الشأم، ثم جمعت خراسان والعراق لعمر بن هبيرة الفزاري، فولى خراسان مسلم ابن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، فقدم خراسان فغزا فلم يعمل شيئاً، وقاتله أهل فرغانة حتى هزموه.

وولي هشام بن عبد الملك بن مروان، وقد ظهر بخراسان دعاة لبني هاشم، فولى خالد بن عبد الله ابن يزيد بن أسد بن كرز القسري العراق وخراسان، وأمره أن يوجه إلى خراسان من يثق به، فوجه خالد أخاه أسد ابن عبد الله، فبلغه خبرهم فأخذ جماعة اتهمهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وبلغ هشاماً اضطراب خراسان، فولى من قبلها أشرس بن عبد الله السامي، ثم عزله، وولى الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان المري، ثم عزله وولى عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي، وبلغ هشاماً أن خراسان قد افتتنت، فضمها ثانية إلى خالد ابن عبد الله القسري، فوجه إليها أخاه أسد بن عبد الله، ومات أسد بن عبد الله بخراسان، واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني من أهل الشأم، وعزل هشام خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي، وأمره أن يوجه إليه برجل له علم بخراسان، فوجه إليه بعبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي، فسأله عن خراسان وحالها ورجالها، فجعل يقص عليه حتى اسمى له نصر ابن سيار الليثي، فكتب بعهده على خراسان، وكان قبل ذلك يتولى كورة من كور خراسان، فعزل جعفر بن حنظلة وتولى البلد وأخذ يحيى بن زيد بن الحسين من بلخ فحبسه في القهندز، وكتب إلى هشام فوافى كتابه وقد مات هشام.

وولي الوليد بن يزيد بن عبد الله واحتال يحيى بن زيد حتى هرب من الحبس، وصار إلى ناحية نيسابور، فوجه نصر بن سيار سلم بن أحوز الهلالي فلحقه بالجوزجان، فحاربه وأتي بسهم غرب، فقتل يحيى بن زيد وصلبه سلم ابن أحوز على باب الجوزجان، فلم يزل يحيى بن زيد مصلوباً حتى غلب أبو مسلم، فأنزله وكفنه ودفنه، وقتل كل من شايع على قتله، وكثرت دعاة بني هاشم بخراسان في سنة ست وعشرين، وحارب نصر ابن سيار جديع بن علي الكرماني الأزدي.

وقتل الوليد وولي يزيد بن الوليد بن عبد المللك وأمر خراسان مضطرب، ودعاة بني هاشم قد كثروا، ونصر بن سيار قد اعتزلته ربيعة واليمن.

ثم ولي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وقد ظهر أمر أبي مسلم بخراسان، وضعف عنه نصر بن سيار، ثم طلب نصر المتاركة والمكافة، ثم قتل أبو مسلم نصر بن سيار وغلب على خراسان سنة ثلاثين

ومائة، ووجه بعماله ورجاله ووجه قحطبة وغيره إلى العراق.

وولي أبو العباس عبد الله بن محمد أمير المؤمنين، فظهرت الدولة الهاشمية المباركة، وأقام أبو مسلم بخراسان إلى سنة ست وثلاثين ومائة، ثم استأذن أبا العباس أمير المؤمنين في الحج، فأذن له فقدم العراق واستخلف على خراسان أبا داود خالد ين إبراهيم الدهلي.

ومات أبو العباس أمير المؤمنين وولي أبو جعفر المنصور وأبو داود خالد ابن إبراهيم بخراسان خليفة لأبي مسلم، ثم قتل أبو مسلم فخرج بخراسان سنفاذ يطلب بدم أبي مسلم، فوجه إليه المنصور جهور بن مرار العجلي فهزمه وقتله وفرق جمعه، وولى أبو جعفر المنصور عبد الجبار ابن عبد الرحمن الأزدي خراسان سنة ثمان وأربعين ومائة، فخرج إليها وكان يتولى شرطة المنصور، فلما كثرت أمواله وعدده بخراسان، أظهر المعصية وكشف رأسه للخلاف، فوجه المنصور المهدي فحاربه وأسره وحمله إلى أبي جعفر فقتله وصلبه بقصر ابن هبيرة سنة تسع وأربعين ومائة. وكان مقام المهدي بالري فعصى قارن أصبهبذ طبرستان فوجه إليه المهدي خازم بن خزيمة التميمي وروح ابن حاتم المهلبي، ففتحت طبرستان وأسر قارن، وولى المهدي خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعي فمات بها، ثم ولاها حميد بن قحطبة الطائي، فأقام بها مدة ثم عزله المنصور، وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد، ثم عزل عبد الملك بن يزيد.

وقد ولي الخلافة المهدي فرد حميد بن قحطبة فأقام بها حتى مات ثم ولى المهدي خراسان معاذ بن مسلم الرازي مولى ربيعة، وقد خرج يوسف البرم الحروري، ووجه المهدي لمحاربة يوسف البرم يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، فحاربه حتى أسره، وحمله إلى المهدي فقطع يديه ورجليه؛ ثم خرج بعقب يوسف البرم حكيم الأعور المعروف بالمقنع، ومعاذ بن مسلم عامل خراسان، ومعه عقبة بن سلم الهنائي، وجبريل بن يحيى البجلي، والليث مولى أمير المؤمنين، فأفرد المهدي لمحاربة المقنع سعيداً الحرشي، فلم يزل يهزمه حتى صار إلى بلاد الصغد، فتحصن في قلعة بكش، فلما اشتد به الحصار، شرب هو وأصحابه السم فماتوا جميعاً، وفتحت القلعة، وعزل المهدي معاذ بن مسلم عن خراسان، وولاها المسيب بن زهير الضبي؛ ثم عزل المهدي المسيب في آخر خلافته، وولى خراسان الفضل ابن سليمان الطوسي، فلم يزل عليها حتى مات المهدي.

وفي خلافة موسى الهادي ولي هارون الرشيد خراسان جعفر بن محمد ابن الأشعث الخزاعي، ففلج ومات؛ وولى مكانه ابنه العباس بن جعفر ابن محمد بن الأشعث، ثم عزله وولى الغطريق ابن عطاء، وكان خال الرشيد فلم يضبط خراسان، فعزله وولى حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي، ثم عزله وولى خراسان الفضل بن يحيى ابن خالد بن برمك، فصار إلى بلخ وافتتح عدة كور من طخارستان، وكابل شاه، وشقنان، ثم

عزل الفضل ابن يحيى بن خالد وولى علي ابن عيسى بن ماهمان وكان على شرطة الرشيد، وقدم علي بن عيسى خراسان، وقد خرج أبو عمرو الشاري فحاربه حتى قتله، ثم خرج على علي بن عيسى بن ماهمان حمزة الشاري ببادغيس فنهض إليه علي بن عيسى فهزمه، واتبعه حتى صار إلى كابل فحاربه حتى قتله. وخرج عليه بعد حمزة أبو الخصيب بباورد، فحاربه وقتله، وصار إلى علي ابن عيسى أموال جليلة. وكان علي قد وجه برافع بن الليث بن نصر بن سيار ابن رافع الليثي على سمرقند، فعصى رافع واشتدت شوكته وقوي أمره، وبلغ الرشيد أن هذا تدبير من علي بن عيسى، فوجه إليه هرثمة بن أعين، فقبض عليه وحمله في الحديد إلى الرشيد، وقبض أمواله فحملها، وولى هرثمة ابن أعين البلخي خراسان في سنة إحدى وتسعين ومائة.

ثم خرج الرشيد إلى خراسان، واستخلف ابنه محمداً الامين ببغداد، وأخرج معه المأمون إلى خراسان، وخرجت العساكر معه، فلما صار إلى طوس اعتل فاشتدت به العلة، فأنفذ المأمون ومعه هرثمة والقواد إلى مرو، وتوفي الرشيد بطوس في جمادي الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة فقبره بطوس. وأقام المأمون بمرو عاملاً على خراسان وكورها، وسائر أعمالها، وأنفذ هرثمة بن أعين إلى سمرقند، لمحاربة رافع بن الليث ابن نصر بن سيار الليثي، فلم يزل يحاربه حتى فتح سمرقند، وخرج رافع في الأمان، فحمله هرثمة إلى المأمون، وحمله المأمون إلى محمد، وكتب إليه بالفتح. وأقام المأمون بمرو بقية سنة ثلاث وتسعين ومائة وسنة أربع وتسعين ومائة، ثم كتب إليه محمد في القدوم إلى بغداد، ووجه إليه العباس بن موسى بن عيسى، ومحمد بن عيسى بن نهيك، وصالحاً صاحب المصلى، فامتنع المأمون من القدوم وقال: هذا نقض الشرط، فوجه إليه عصمة بن أبي عصمة السبيعي في جيش فأقام عصمة بالري، ولم يبرح، فوجه علي بن عيسى بن ماهمان، وكان قد أطلقه إلى خراسان، فلما بلغ المأمون ذلك، وجه طاهر بن الحسين ابن مصعب البوشنجي من مرو في أربعة آلاف، فلقي علي بن عيسى بالري فقتله، ثم وجه المأمون هرثمة بن أعين أيضاً إلى العراق، ولم يزل المأمون بمرو مقيماً حتى قتل محمد في آخر المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وبويع له بالخلافة.

ثم أقام المأمون بخراسان سنة تسع وتسعين ومائة وسنة مائتين، وهو يوجه إلى العراق بالرجال، فوجه بحميد بن عبد الحميد بن ربعي الطائي الطوسي، ثم وجه علي بن هشام بن خسرو المروروذي، ثم وجه بذي العلمين علي ابن أبي سعيد ابن خالة الفضل بن سهل على خراج العراق، ثم وجه الحسن بن سهل على جميع الأمور، وانصرف هرثمة من العراق مغاضباً، وصار إلى المأمون فحبسه المأمون ومات في الحبس بعد ثلاثة أيام بمرو في سنة مائتين. ثم بايع المأمون للرضا علي بن أبي طالب عم بمرو بولاية العهد سنة

اثنين ومائتين، ثم خرج من مرو في هذه السنة، فسار سيراً مهوناً، ثم صار إلى سرخس، فأقام بها، وقتل الفضل ابن سهل وزيره بسرخس في الحمام، فقتل المأمون جماعة بسببه، وسار المأمون إلى طوس، فلما قدم طوس أقام بها، وذلك في سنة ثلاث ومائتين، وتوفي الرضا عم بطوس، وكان المأمون قد كاتب جميع ملوك خراسان فاستصلحهم حتى استقامت، وولى خراسان كلها رجاء بن أبي الضحاك، وكان زوج أخت الفضل بن سهل؛ وقدم المأمون بغداد في النصف من صفر سنة أربع ومائتين، وفسدت خراسان كلها على يد رجاء بن أبي الضحاك، فولى المأمون خراسان غسان بن عباد فأصلحها واستقامت على يده، وأحمده المأمون وأقام بقية سنة أربع ومائتين وأشهر من سنة خمس ومائتين، ثم احتال طاهر بن الحسين ابن مصعب البوشنجي حتى ولاه المأمون خراسان، وعهد له عليها؛ فخرج إليها في سنة خمس ومائتين، وبلغه سوء رأي من المأمون، فأظهر خلافاً لم يكشف رأسه فيه، وبلغ المأمون ذلك فيقال إنه احتيل له بشربة، وتوفي طاهر في سنة سبع ومائتين؛ فولى المأمون مكانه ابنه طلحة بن طاهر ابن الحسين، فأقام أميراً بخراسان سبع سنين مستقيم الأمر، ثم توفي طلحة ابن طاهر سنة خمس عشرة ومائتين، وكان المأمون قد ولى عبد الله بن طاهر كور الجبل وآذربيجان، فخرج وأقام بالدينور عليلاً، فولاه المأمون خراسان مكان أخيه طلحة بن طاهر، ووجه إليه بعهده وعقده مع إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكثم قاضي القضاة، فشخص عبد الله بن طاهر إلى خراسان، فنزل نيسابور ولم ينزلها والٍ من ولاة خراسان قبله، وجعلها وطنه، وأقام عبد الله ابن طاهر على خراسان وأعمالها مستقيم الأمر، شديد السلطان، والبلدان كلها مستقيمة أربع عشرة سنة، ثم توفي بنيسابور في سنة ثلاثين ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة، فولى الواثق خراسان ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر، فأقام بخراسان خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر وبعض خلافة المستعين، ووليها ثماني عشرة سنة مستقيم الأمور، ثم توفي بنيسابور في رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين، وله أربع وأربعون سنة. وولى المستعين خراسان ابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، فأقام والياً عليها من سنة ثمان وأربعين ومائتين إلى سنة تسع وخمسين ومائتين، وقد كانت الأمور اضطربت بخروج الحسن بن زيد الطالبي بطبرستان وغيره، وخروج يعقوب بن الليث الصفار بسجستان، وتخطيه إلى كور خراسان، ثم سار يعقوب بن الليث الصفار إلى نيسابور في شوال سنة تسع وخمسين ومائتين، فقبض على محمد بن طاهر، واستوثق منه ومن أهل بيته، وقبض أموالهم، وما تحويه منازلهم، وحملهم في الأصفاد إلى قلعة بكرمان، يقال لها قلعة بمّ، فلم يزالوا في تلك الحال حتى مات الصفار، وخلت خراسان منهم، وصار بها عمرو ابن الليث أخو الصفار، فأقام آل طاهر ولاة خراسان خمساً وخمسين سنة، وليها منهم خمسة أمراء؛ ومع انقضاء الدول تزول الأمور وتتغير الأحوال، ويقع العجز ويظهر التقصير.

وكان خراج خراسان يبلغ في كل سنة من جميع الكور أربعين ألف ألف درهم، سوى الأخماس التي ترتفع من الثغور، ينفقها آل طاهر كلها فيما يرون، ويحمل إليهم بعد ذلك من العراق ثلاثة عشر ألف ألف سوى الهدايا.

فهذا ربع المشرق قد ذكرنا منه ما حضرنا ذكره، وعلمنا خبره، ووصفنا أحواله، فلنذكر الآن ربع القبلة وما فيه وبالله التوفيق.

الربع القبلي

من أراد من بغداد إلى الكوفة وإلى طريق الحجاز والمدينة ومكة والطائف، من بغداد إلى الكوفة ثلاثون فرسخاً وهي ثلاث مراحل: أولها: قصر ابن هبيرة على إثني عشر فرسخاً من بغداد، كان يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاري ابتناه في أيام مروان بن محمد بن مروان. وابن هبيرة يومئذ عامل مروان على العراق، وأراد البعد من الكوفة وهي مدينة عامرة جليلة، يترلها العمال والولاة، وأهلها أخلاط من الناس؛ وهي على نمر يأخذ من الفرات، يقال لها الصراة، وبين قصر ابن هبيرة وبين معظم الفرات مقدار ميلين إلى جسر على معظم الفرات، يقال له جسر سورا، ومن قصر ابن هبيرة إلى موضع يقال له سوق أسد غربي الفرات في الطسوج الذي يقال له الفلوجة، ومن سوق أسد إلى الكوفة. والمسافات من بغداد إلى الكوفة في عمارات وقرى عظام متصلة عامرة، فيها أخلاط من العجم ومن العرب.

والكوفة مدينة العراق الكبرى، والمصر الأعظم، وقبة الإسلام، ودار هجرة المسلمين، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق في سنة أربع عشرة، وبها خطط العرب، وهي على معظم الفرات، ومنه شرب أهلها، وهي من أطيب البلدان، وأفسحها وأعذاها، وأوسعها. وخراجها داخل في خراج طساسيج السواد، وطساسيجها التي تنسب إليها: طسوج الجبة، وطسوج البداة، وفرات بادقلا، والسالحين، ونمر يوسف، والحيرة منها على ثلاثة أميال. والحيرة على النجف، والنجف كان ساحل بحر الملح، وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة، وهي منازل آل بقيلة وغيرهم، وبها كانت منازل ملوك بني نصر من لخم، وهم آل النعمان بن المنذر، وعلية أهل الحيرة نصارى، فمنهم من قبائل العرب على دين النصرانية من بني تميم آل عدي بن زيد العبادي الشاعر، ومن سليم، ومن طيء وغيرهم. والخورنق بالقرب منها مما يلي المشرق، وبينه وبين الحيرة ثلاثة أميال، والسدير في برية تقرب منها.

خطط الكوفة

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص لما افتتح العراق يأمره أن يترل بالكوفة، ويأمر الناس أن يختطوها، فاختطت كل قبيلة مع رئيسها، فأقطع عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانت عبس إلى جانب المسجد، ثم تحول قوم منهم إلى أقصى الكوفة؛ واختط سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب بن نجبة الفزاري وناس من قيس حيال دار ابن مسعود؛ واختط عبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن حريث الدور حول المسجد؛ وأقطع عمر جبير بن مطعم فبنى داراً، ثم باعها من موسى بن طلحة؛ وأقطع سعد بن قيس عند دار سلمان بن ربيعة بينهما الطريق؛ واستقطع سعد بن أبي وقاص لنفسه الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد؛ وأقطع خالد ابن عرفطة وخباب بن الأرت وعمرو بن الحارث بن أبي ضرار وعمارة ابن روبية التميمي؛ وأقطع أبا مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري؛ وأقطع بني شمخ ابن فزارة مما يلي جهينة؛ وأقطع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص شهار سوج خنيس؛ وأقطع شريح بن الحارث الطائي؛ وأقطع عمر أسامة بن زيد داراً ما بين المسجد إلى دار عمرو بن الحارث بن أبي ضرار؛ وأقطع أبا موسى الأشعري نصف الآري وكان فضاء عند المسجد؛ وأقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين؛ وأقطع عمرو بن ميمون الأودي الرحبة التي تعرف بعلي بن أبي طالب عم وأقطع أبا جبيرة الأنصاري وكان على ديوان الجند؛ وأقطع عدي بن حاتم وسائر طيء ناحية جبانة بشر؛ وأقطع الزبير بن العوام؛ وأقطع جرير بن عبد الله البجلي وسائر بجيلة قطيعة واسعة كبيرة؛ وأقطع الأشعث بن قيس الكندي وكندة من ناحية جهينة إلى بني أود، وجاء قوم من الأزد فوجدوا فرجة فيما بين بجيلة وكندة فترلوا وتفرقت همدان بالكوفة، وجاءت تميم وبكر وأسد فترلوا الأطراف. وأقطع أبا عبد الله الجدلي في بجيلة، فقال جرير بن عبد الله: لم نزل هذا فينا وليس منا. فقال له عمر: انتقل إلى ما هو خير لك. فانتقل إلى البصرة وانتقلت عامة أحمس عن جرير بن عبد الله إلى الجبانة.

وقد تغيرت الخطط وصارت تعرف بقوم اشتروا بعد ذلك وبنوا، وكان لكل قبيلة جبانة تعرق بهم وبرؤسائهم منها: جبانة عرزم، وجبانة بشر، وجبانة أزد، وجبانة سالم، وجبانة مراد، وجبانة كندة، وجبانة الصائديين، وصحراء أثير، وصحراء بني يشكر، وصحراء بني عامر. وكتب عمر ابن الخطاب إلى سعد أن يجعل سكك الكوفة خمسين ذراعاً بالسوداء، وجعلت السوق من القصر والمسجد إلى دار الوليد إلى القلائين إلى دور ثقيف وأشجع، وعليها ظلال بواري إلى أيام خالد بن عبد الله القسري، فإنه بنى الأسواق، وجعل لأهل كل بياعة داراً وطاقاً، وجعل غلالها للجند، وكان يترلها عشرة آلاف مقاتل.

المنازل من الكوفة إلى المدينة ومكة

من أراد أن يخرج من الكوفة إلى الحجاز خرج على سمت القبلة في منازل عامرة، ومناهل قائمة، فيها قصور لخلفاء بني هاشم، فأول المنازل القادسية، ثم المغيثة، ثم القرعاء، ثم واقصة، ثم العقبة، ثم القاع، ثم زبالة، ثم الشقوق، ثم بطان: وهي قبر العبادي، وهذه الأربعة الأماكن ديار بني أسد؛ والثعلبية: وهي مدينة عليها سور وزرود؛ والأجفر منازل طيء؛ ثم مدينة فيد: وهي المدينة التي يترلها عمال طريق مكة، وأهلها طيء، وهي في سفح جبلهم المعروف بسلمى؛ وتوز وهي منازل طيء أيضاً؛ وسميراء، والحاجر وأهلهما قيس وأكثرهم بنو عبس؛ والنقرة ومعدن النقرة وأهلها أخلاط من قيس وغيرهم؛ ومنها يعطف من أراد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على بطن نخلة. ومن قصد مكة فإلى مغيثة الماوان وهي ديار بني محارب، ثم الربذة، ثم السليلة، ثم العمق، ثم معدن بني سليم، ثم أفيعية، ثم المسلح، ثم غمرة ومنها يهل بالحج، ثم ذات عرق، ثم بستان ابن عامر ثم مكة.

مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن قصد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ من المترل الذي يقال له معدن النقرة إلى بطن نخل، ثم العسيلة، ثم طرفة، ثم المدينة.

والمدينة كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة في مستوى من الأرض عذبة، برية، جبلية، وذلك أن لها جبلين: أحدهما: أحد. والآخر: عير. وأهلها المهاجرون والأنصار والتابعون، وبها قبائل العرب من قيس ابن عيلان، من مزينة، وجهينة، وكنانة وغيرهم؛ ولها أربعة أودية، يأتي ماؤها في وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بني سليم، على مقدار عشرة فراسخ من المدينة. وهي وادي بطحان والعقيق الكبير والعقيق الصغير، ووادي قناة، فمياه هذه الأودية تأتي في وقت السيول، ثم تجتمع كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى وادٍ يقال له وادي أضم ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير في آبار منها: بئر رومة: وهي حفير بني مازن، وبئر عروة. فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هاتين البئرين وغيرهما من الآبار، التي ليست لها شهرة هاتين البئرين، وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع، تجرها النواضح وهي الإبل التي تعمل في الزرانيق. وبالمدينة عيون نابعة معينة، فمنها: عين الصورين، وعين ثنية مروان، وعين الخانقين، وعين أبي زياد وخيف القاضي، وعين برد، وعين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وأكثر أموال أهلها النخل، ومنه معاشهم وأقواتهم. وخراجها من أعشار النخل والصدقات؛ والبحر الأعظم منها على ثلاثة أيام، وساحلها موضع يقال له الجار، وإليه ترسي مراكب التجار، والمراكب التي تحمل الطعام من مصر. ومن المدينة إلى قباء ستة أميال، وبها كانت منازل الأوس والخزرج قبل الإسلام، وبها نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصير إلى موضع المدينة. فإنه صلى الله عليه

وسلم نزل بقباء على كلثوم بن الهدم، ثم مات كلثوم فنزل على سعد بن خيثمة الأنصاري، ودار سعد بن خيثمة إلى جانب مسجد قباء، ثم انتقل إلى المدينة فكتب معاقلها، واختط الناس بها الخطط، وكانوا قبل ذلك مفترقين، واتصل البنيان بعضه ببعض حتى صارت مدينة.

ومن المدينة إلى مكة عشر مراحل عامرة آهلة: فأولها: ذو الحليفة ومنها يحرم الحاج إذا خرجوا من المدينة، وهي على أربعة أميال من المدينة، ومنها إلى الحفيرة وهي منازل بني فهر من قريش، وإلى ملل وهي في هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن أبي طالب، وإلى السيالة وبها قوم من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عم وكان بها قوم من قريش وغيرهم، وإلى الروحاء وهي منازل مزينة، وإلى الرويثة وبها قوم من ولد عثمان بن عفان وغيرهم من العرب، وإلى العرج وهي أيضاً منازل مزينة، وإلى سقيا بني غفار وهي منازل بني كنانة، وإلى الأبواء وهي منازل أسلم، وإلى الجحفة وبها قوم من بني سليم وغدير خم من الجحفة على ميلين عادل عن الطريق، وإلى قديد وبها منازل خزاعة، وإلى عسفان، وإلى مر الظهران وهي منازل كنانة، وإلى مكة.

مكة وأعمالها

ومن المدينة إلى مكة مائتان وخمسة وعشرون ميلاً. والحاج ينزلون هذه المنازل وغيرها من المناهل، ويطول قوم ويقصر آخرون على ما يذهبون إليه في المسير من السرعة والإبطاء، فيدخل الناس إلى مكة من ذي طوى- وهي أسفل مكة، ومن عقبة المدنيين- وهي أعلى مكة- ومنها دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومكة بين جبال عظام وهي أودية ذات شعاب، فجبالها المحيطة بها: أبو قبيس الجبل الأعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام، وقعيقعان، وفاضح، والمحصب، وثور عند الصفا، وحراء، وثبير، وتفاحة، والمطابخ، والفلق، والحجون، وسقر. ولها من الشعاب: شعب الحجون، وشعب دار مال الله، وشعب البطاطين، وشعب فلق ابن الزبير، وشعب ابن عامر، وشعب الجوف، وشعب الخوز، وشعب أذاخر، وشعب خط الحزامية، وشعب الصفا، وشعب الرزازين، وشعب الجبيريين، وشعب الجوف، وشعب الجزارين، وشعب زقاق النار، وشعب جبل تفاحة، وشعب الحجاج، وشعب العطارين، وشعب جياد الكبير، وشعب جياد الصغير، وشعب النفر، وشعب ثور وخيام عنقود، وشعب يرنى، وشعب علي، وشعب ثنية المدنيين، وشعب الحامام.

والمسجد الحرام بين جياد وقعيقعان، وآخر من بنى المسجد الحرام، وزاد فيه، ووسعه، حتى صارت الكعبة

في وسطه المهدي في سنة أربع وستين ومائة، فذرع المسجد الحرام مكسراً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع، وطول المسجد من باب بني جمح إلى باب بني هاشم، الذي عند العلم الأخضر أربعمائة ذراع وأربع أذرع، وعرضه من باب الندوة إلى باب الصفا ثلثمائة ذراع وأربع أذرع، وفيه من العمد الرخام أربعمائة وأربعة وثمانون عموداً، طول كل عمود عشر أذرع، وفيه أربعمائة طاق وثمانية وتسعون طاقاً، وثلاثة وعشرون باباً. والمهدي أمير المؤمنين بنى العلمين الأخضرين اللذين بين الصفا والمروة، وبين كل علم وصاحبه مائة واثنتا عشرة ذراعاً، وبين الصفا والمروة سبعمائة ذراع وأربع وخمسون ذراعاً، وارتفاع سمك الكعبة ثماني وعشرون ذراعاً، ومن الركن الأسود إلى الركن الشأمي خمس وعشرون ذراعاً، ومن الركن الغربي في الحجر إلى الركن الشأمي اثنتان وعشرون ذراعاً، ومن الركن الغربي إلى الركن اليماني خمس وعشرون ذراعاً، ومن الركن اليماني إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود إحدى وعشرون ذراعاً.
وشرب أهل مكة من آبار ملحة ومن القنوات التي حفرتها أم جعفر بنت جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور، في خلافة الرشيد أمير المؤمنين، وأجرتها من الموضع الذي يقال له المشاش في قنوات رصاص، وبينهما اثنا عشر ميلاً، فشرب أهل مكة والحاج من بركة أم جعفر.
والطائف من مكة على مرحلتين، والطائف منازل ثقيف، وهي من أعمال مكة، مضمومة إلى عامل مكة. ولمكة من الأعمال: رعيلاء الهوذة، ورعيلاء البياض، وهي معادن سليم وهلال وعقيل من قيس، وتبالة وأهلها خثعم، ونجران لبني الحارث ابن كعب كانت منازلهم في الجاهلية، والسراة وأهلها الأزد، وعشم معدن ذهب، وبيش، والسرين، والحسبة، وعثر، وجدة وهي ساحل البحر، ورهاط، ونخلة، وذات عرق، وقرن، وعسفان ومر الظهران، والجحفة. وحول مكة من قبائل العرب من قيس: بنو عقيل، وبنو هلال، وبنو نمير، وبنو نصر. ومن كنانة: غفار، ودوس، وبنو ليث، وخزاعة، وخثعم، وحكم، والأزد. ولمكة عيون كثيرة، بها أموال الناس بمر الظهران، وعرفة، ورهاط، وتثليث وبها معدن ذهب بعشم وذو علق، وعكاظ. وخراجها من أعشار وصدقات، والميرة تحمل إليها من مصر إلى ساحلها وهو جدة.

ومن مكة إلى اليمن

من مكة إلى صنعاء إحدى وعشرون مرحلة: فأولها الملكان، ثم يلملم ومنها يحرم حاج اليمن، ثم الليث، ثم عليب، ثم قربا، ثم قنونا، ثم يبة، ثم المعقر، ثم ضنكان، ثم زنيف، ثم ريم، ثم بيش، ثم العرش من جازان، ثم الشرجة، ثم السلعاء، ثم بلحة، ثم المهجم، ثم العارة، ثم المروة، ثم سودان، ثم صنعاء وهي المدينة العظمى التي ينزلها الولاة وأشراف العرب.

ولليمن أربعة وثمانون مخلافاً وهي شبيه بالكور والمدن وأسماؤها: اليحصبين، ويكلى، وذمار، وطموء، وعيان، وطمام، وهمل، وقدم، وخيوان، وسنحان، وريحان، وجرش، وصعدة، والأخروج، ومجنح، وحراز، وهوزن، وقفاعة، والوزيرة، والحجر، والمغافر، وعنة، والشوافي، وجبلان، ووصاب، والسكون، وشرعب، والجند، ومسور، والثجة، والمزرع، وحيران، ومأرب، وحضور، وعلقان، وريشان، وجيشان، والنهم، وبيش، وضنكان، وقنونا، ويبة، وزنيف، والعرش من جازان، والخصوف، والساعد، وبلجة، وهي مور، والمهجم، والكدراء وهي سهام، والمعقر وهي ذوال، وزبيد، ورمع، والركب، وبني مجيد، ولحج، وأبين، وبين الواديين، وألهمان، وحضرموت، ومقرا، وحيس، وحرض، والحقلين، وعنس، وبني عامر، ومأذن، وحملان، وذي جرة، وخولان، والسرو، والدثينة، وكبيبة، وتبالة.

ولليمن من الجزائر

زيلع وهي حيال المندب، ثم دهلك وهي حيال غلافقة وهي جزيرة النجاشي، ورحسوا وهي حيال الدهلك، وباضع وهي حيال عثر وهي ساحل بيش بلاد كنانة.

وأما سواحلها

فعدن: وهي ساحل صنعاء، وبها مرفأ مراكب الصين، وسلاهط والمندب، وغلافقة، والحردة، والشرجة وهي شرجة القريص، وعثر، والحسبة، والسرين، وجدة.

تسمية من يسكن كل بلد من قبائل العرب باليمن

بيش: أهلها الأزد وبها قوم من بني كنانة. والخصوف والساعد: أهلها حا وحكم. والكدراء والمهجم: أهلها عك. والحصيب: أهلها زبيد والأشعريون. وحيس: وهي مدينة الركب وبني مجيد. وحرض: مدينة المعافر. والجند: مدينة شرعب ومدينة جيشان: لحمير. وتبالة: لخثعم. ونجران: لبني الحارث بن كعب. وصعدة: لخولان. وشرعب وقفاعة والحجر بلاد كندة.

الربع الثالث الجربي وهو ربع الشمال

قد ذكرنا التيمن وهو ربع القبلة، فلنذكر الآن ربع الجربي وهو ربع الشمال، وما فيه من المدائن والكور. من أراد من بغداد إلى المدائن، وما والاها مما على حافتي دجلة من المدن والطساسيج، وواسط والبصرة، والأبلة، واليمامة، والبحرين، وعمان، والسند، والهند، خرج من بغداد، فسلك أي الجانبين أحب،

الشرقي من دجلة، أو الغربي في قرى عظام، فيها ديار الفرس، حتى يصير إلى المدائن، وهي على سبعة فراسخ من بغداد.

والمدائن دار ملوك الفرس، وكان أول من نزلها أنوشروان، وهي عدة مدن في جانبي دجلة، فالجانب الشرقي فيه المدينة التي يقال لها العتيقة، وفيها القصر الأبيض القديم الذي لا يدرون من بناه، وفيها المسجد الجامع، الذي بناه المسلمون لما افتتحت. وفي الجانب الشرقي أيضاً المدينة التي يقال لها أسبانبر وفيها إيوان كسرى العظيم، الذي ليس للفرس مثله، ارتفاع سمكه ثمانون ذراعاً. وبين المدينتين مقدار ميل، وفي هذه المدينة كان يترل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وبها قبراهما. ثم تلي هاتين المدينتين، مدينة يقال لها الرومية التي يقال إن الروم بنتها لما غلبت على ملك فارس، وبها كان أمير المؤمنين المنصور لما قتل أبا مسلم. وما بين هذه المدن الثلاث متقارب الميلان والثلاثة الأميال.

في الجانب الغربي من دجلة مدينة يقال لها بهرسير ثم ساباط المدائن على فرسخ من بهرسير فما كان من جانب دجلة الشرقي فشربه من دجلة، وما كان من جانب دجلة الغربي فشربه من الفرات، يأتي من نهر يقال له نهر الملك يأخذ من الفرات. افتتحت هذه المدائن كلها سنة أربع عشرة، افتتحها سعد بن أبي وقاص. ومن المدائن إلى واسط خمس مراحل.

أولها دير العاقول: وهي مدينة النهروان الأوسط وبها قوم دهاقين أشراف.

ثم جرجرايا: وهي مدينة النهروان الأسفل، وهي ديار أشراف الفرس، ومنها رجاء بن أبي الضاحك وأحمد بن الخصيب.

ثم النعمانية: وهي مدينة الزاب الأعلى، ويقرب منها منازل آل نوبخت، وفي مدينة النعمانية دير هزقل الذي يعالج فيه المجانين.

ثم جبل: وهي مدينة قديمة عامرة.

ثم مادرايا وهي مترل أشراف العجم قديمة. ثم المبارك نهر قديم. وبعد النعمانية من الجانب الغربي من دجلة القرية المعروفة بنعماباذ وهي فرضة ينتقل منها مير دجلة إلى النيل، ثم نهر سابس وهي في الجانب الغربي وهي بإزاء المبارك، لأن مدينة المبارك من الجانب الشرقي، منها يسلك إلى طسوجي بادرايا وباكسايا. ثم قناطر الخيزران من الجانب الشرقي. ثم فم الصلح وبه منازل الحسن بن سهل، وإلى هذا الموضع صار المأمون لما زار الحسن بن سهل، وابتنى بابنته بوران، ثم واسط وهي مدينتان على جانبي دجلة، فالمدينة القديمة في الجانب الشرقي من دجلة، وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي، وجعل بينهما جسراً بالسفن، وبنى الحجاج قصره بهذه المدينة الغربية، والقبة الخضراء التي يقال لها خضراء واسط، والمسجد

الجامع وعليها السور، نزلتها الولاة بعد الحجاج، وبها كان يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاري لما انهزم من أصحاب قحطبة وتحصن فيها حتى أعطي الأمان؛ وسكان هاتين المدينتين أخلاط من العرب والعجم، ومن كان من الدهاقين فمنزله بالمدينة الشرقية وهي مدينة كسكر، وخراجها داخل في خراج طساسيج السواد، وإنما سميت واسط لأن منها إلى البصرة خمسين، وإلى الكوفة خمسين، وإلى الأهواز خمسين فرسخاً، وإلى بغداد خمسين فرسخاً، فلذلك سميت واسط. ويتصل بها نهرابان وبه يصنع الفرش الذي يعمل منه الارمني، ثم يحمل إلى أرمينية، فيغزل وينسج، ثم إلى عبداسي، ثم إلى المذار وهي مدينة ميسان ومدينة المذار على دجلة أيضاً، ومما يلي المذار كورة أبزقباذ والمدينة يقال لها فسى. ومن واسط إلى البصرة في البطائح، وإنما سميت البطائح لأنه تجتمع فيها عدة مياه، ثم يصير من البطائح في دجلة العوراء، ثم يصير إلى البصرة فيرسي في شط نهر ابن عمر.

البصرة

والبصرة كانت مدينة الدنيا ومعدن تجاراتها وأموالها، وهي مدينة مستطيلة، تكون مساحتها على أصل الخطة التي اختطت عليها في وقت افتتاحها في ولاية عمر بن الخطاب في سنة سبع عشرة، فرسخين في فرسخ، فالباطنة منها وهي الجانب الذي يلقى الشمال، تشرع على نهرين لها أحدهما نهر يعرف بنهر ابن عمر وهو نهر...

وخرشنة خمسمائة فارس، وسلوقية خمسمائة فارس، وتراقية خمسة آلاف فارس، ومقدونية ثلاثة آلاف فارس، فجميع جيش بلاد الروم من الجند الموظف على الرساتيق والقرى أربعون ألف فارس، وليس فيهم مرتزق، وإنما هم حينئذ. يوظف عل كل ناحية رجال يخرجون مع بطريقها في وقت الحرب. وقد ذكرنا أخبار بلاد الروم، ورجالها، ومدنها وحصونها، وموانيها، وجبالها، وشعابها، وأوديتها، وبحيراتها، ومواضع الغارات عليها في كتاب غير هذا، فهذه المسالك إلى الثغور وما اتصل بها.

ومن أراد أن يسلك من حلب الطريق الأعظم إلى المغرب، خرج من حلب إلى مدينة قنسرين، ثم إلى الموضع الذي يقال له تلمنس وهو أول عمل جند حمص.

جند حمص

ثم منها إلى مدينة حماة، وهي مدينة قديمة على نهر يقال له الأرنط، وأهل هذه المدينة قوم من يمن، والأغلب عليهم بهراء وتنوخ. ثم من مدينة حماة إلى مدينة الرستن، ثم إلى مدينة حمص.

ومدينة حمص من أوسع مدن الشأم، ولها نهر عظيم منه شرب أهلها. وأهل حمص جميعاً يمن من طيء، وكندة، وحمير، وكلب، وهمدان، وغيرهم من بطون اليمن. افتتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ست عشرة صلحاً، وانتقضت بعد الفتح فصالحها أهلها ثانية. وبحمص أقاليم منها التمة وأهلها كلب، والرستن، وحماة وهي مدينة على نهر عظيم وأهلها بهراء، وتنوخ، وصوران وبه قوم من أياد، وسلمية وهي مدينة في البرية، كان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابتناها وأجرى إليها نهراً، واستنبط أرضها حتى زرع فيها الزعفران، وأهلها من ولد عبد الله ابن صالح الهاشمي ومواليهم، وأخلاط من الناس تجار وزراعين، وتدمر وهي مدينة قديمة عجيبة البناء، يقال لكثرة ما فيها من عجائب الآثار أن سليمان ابن داود النبي عم بناها وأهلها كلب، وتلمنس وهي مساكن أياد وكان ابن أبي دؤاد بناها متزلاً، ومعرة النعمان مدينة قديمة خراب وأهلها تنوخ، والبارة وأهلها بهراء، ومدينة فامية وهي مدينة رومية قديمة خراب على بحيرة عظيمة، وأهلها عذرة بهراء. ومدينة شيزر وأهلها قوم من كندة ومدينة كفرطاب. والأطميم وهي مدينة قديمة وأهلها قوم من يمن من سائر البطون وأكثرهم كندة وعلى ساحل البحر من جند حمص أربع مدن: مدينة اللاذقية وأهلها قوم من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم. ومدينة جبلة وأهلها همدان وبها قوم من قيس ومن أياد. ومدينة بلنياس وأهلها أخلاط. ومدينة أنظرظوس وأهلها قوم من كندة. وخراج حمص القانون القائم يبلغ سوى الضياع مائتي ألف وعشرين ألف دينار.

جند دمشق

ومن حمص إلى مدينة دمشق أربع مراحل: فالمرحلة الأولى جوسية: وهي من حمص. والثانية قارا: وهي أول عمل جند دمشق. والثالثة القطيفة: وبها منازل لهشام بن عبد الملك بن مروان ومنها إلى مدينة دمشق. ومن سلك من حمص على طريق البريد أخذ من جوسية إلى البقاع، ثم إلى مدينة بعلبك وهي إحدى مدن الشأم الجليلة، وبها بنيان عجيب بالحجارة، وبها عين عجيبة يخرج منها نهر عظيم، وداخل المدينة الأجنة والبساتين، ومن مدينة بعلبك إلى عقبة الرمان ثم إلى مدينة دمشق.

ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهي مدينة الشأم في الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير في جميع أجناد الشأم في كثرة أنهارها وعمارتها، ونهرها الأعظم يقال له بردا. افتتحت مدينة دمشق في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحاً، بعد حصار سنة ودخل خالد بن الوليد من باب لها يقال له باب الشرقي بغير صلح، فأجاز أبو عبيدة الصلح في جميعها، وكتبوا إلى عمر ابن الخطاب، فأجاز ما عمل به أبو عبيدة. وكانت دمشق منازل ملوك غسان، وبها آثار لآل جفنة، والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قوم من قيس، ومنازل بني أمية

وقصورهم أكثر منازلها، وبها خضراء معاوية، وهي دار الإمارة ومسجدها، الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في خلافته.

ولجند دمشق من الكور: الغوطة وأهلها غسان وبطون من قيس، وبها قوم من ربيعة. وحوران ومدينتها بصرى، وأهلها قوم من قيس من بني مرة خلا السويدا، فإن بها قوماً من كلب. والبثنية ومدينتها أذرعات، وأهلها قوم من يمن ومن قيس. والظاهر: ومدينتها عمان. والغور: ومدينتها ريحا، وهاتان المدينتان أرض البلقاء، وأهلها قوم من قيس، وبها جماعة من قريش. وجبال: ومدينتها عرندل، وأهلها قوم من غسان، ومن بلقين وغيرهم. ومآب وزغر: وأهلها أخلاط من الناس، وبها القرية المعروفة بمؤتة التي قتل فيها جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة. والشراة: ومدينتها أذرح، وأهلها موالي بني هاشم، وبها الحميمة منازل علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وولده. والجولان: ومدينتها بانياس، وأهلها قوم من قيس، أكثرهم بنو مرة، وبها نفر من أهل اليمن. وجبل سنير: وأهلها بنو ضبة وبها قوم من كلب. وبعلبك: وأهلها قوم من الفرس، وفي أطرافها قوم من اليمن. وجبل الجليل: وأهلها قوم من عاملة. ولبنان صيدا: وبها قوم من قريش ومن اليمن. ولجند دمشق من الكور على الساحل كورة عرقة، ولها مدينة قديمة، فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة، ومدينة أطرابلس: وأهلها قوم من الفرس كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها ولهم مينا عجيب يحتمل ألف مركب. وجبيل وصيدا وبيروت: وأهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان. وكل كورة دمشق افتتحها أبو عبيدة بن الجراح في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة وخراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة ألف دينار.

جند الأردن

ومن مدينة دمشق إلى جند الأردن أربع مراحل: أولها جاسم من عمل دمشق. وخسفين من عمل دمشق. وفيق ذات العقبة المذكورة، ومنها إلى مدينة طبرية وهي مدينة الأردن، وهي في سفل جبل على بحيرة جليلة، يخرج منها نهر الأردن المشهور، وفي مدينة طبرية مياه تنبع حارة، تفور في الصيف والشتاء، ولا تنقطع فتدخل المياه الحارة إلى حماماتهم، ولا يحتاجون لها إلى وقود. وأهل مدينة طبرية قوم من الأشعريين هم الغالبون عليها.

ولجند الأردن من الكور: صور: وهي مدينة السواحل، وبها دار الصناعة، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم، وهي حصينة جليلة، وأهلها أخلاط من الناس. ومدينة عكا: وهي من السواحل. وقدس:

وهي من أجل كوره. بيسان، وفحل، وجرش، والسواد، وأهل هذه الكور أخلاط من العرب والعجم، افتتحت كور الأردن في خلافة عمر ابن الخطاب، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح خلا مدينة طبرية، فإن أهلها صالحوه وغيرها من كور جند الأردن. افتتحها خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص من قبل أبي عبيدة بن الجراح سنة أربع عشرة. وخراج جند الأردن يبلغ سوى الضياع مائة ألف دينار.

جند فلسطين

ومن جند الأردن إلى جند فلسطين ثلاث مراحل، ومدينة فلسطين القديمة كانت مدينة يقال لها لد ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ابتنى مدينة الرملة، وخرب مدينة لد، ونقل أهل لد إلى الرملة.

الرملة مدينة فلسطين ولها نهر صغير منه شرب أهلها، ونهر أبي فطرس منها على اثني عشر ميلا، وشرب أهل الرملة من ماء الآبار ومن صهاريج يجري فيها ماء المطر، وأهل المدينة أخلاط من الناس من العرب والعجم وذمتها سامرة. ولفلسطين من الكور: كورة إيليا: وهي بيت المقدس، وبها آثار الأنبياء عم. وكورة لد: ومدينتها قائمة بحالها إلا أنها خراب. وعمواس ونابلس: وهي مدينة قديمة فيها الجبلان المقدسان، وتحت المدينة مدينة منقورة في حجر وبها أخلاط من العرب والعجم. والسامرة وسبسطية: وهي مضافة إلى نابلس. وقيسارية: وهي مدينة على ساحل البحر، كانت من أمنع مدن فلسطين، وهي آخر ما افتتح من مدن البلد، افتتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب. ويبنا: وهي مدينة قديمة على قلعة، وهي التي يروى أن أسامة بن زيد قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهني، فقال: اغد على يبنا صباحا ثم حرق . وأهل هذه المدينة قوم من السامرة. ويافا: وهي على ساحل البحر إليها ينفر أهل الرملة. وكورة بيت جبرين: وهي مدينة قديمة وأهلها قوم من جذام، وبها البحيرة الميتة التي تخرج الحمرة وهي الموميا. ومدينة عسقلان: على ساحل البحر. ومدينة غزة: على ساحل البحر وهي رأس الإقليم الثالث، وبها قبر هاشم بن عبد مناف، وأهل جند فلسطين أخلاط من العرب من لخم، وجذام، وعاملة، وكندة، وقيس، وكنانة، افتتحت أرض فلسطين سنة ست عشرة بعد طول محاصرة، حتى خرج عمر ابن الخطاب فصالح أهل كورة إيليا وهي بيت المقدس، وقالوا لا نصالح إلا الخليفة، فسار إليهم حتى صالحهم وافتتحت أكثر كور فلسطين خلا قيسارية، فخلف عليها أبو عبيدة ابن الجراح معاوية بن أبي سفيان، فافتتحها سنة ثمان عشرة. ومبلغ خراج جند فلسطين مع ما صار في الضياع يبلغ ثلثمائة ألف دينار.

ومن أراد أن يسلك من الشأم على فلسطين إلى مكة سلك جبالا خشنة حزنة، حتى يصير إلى أيلة، ثم إلى مدين، ثم يستمر به الطريق مع أهل مصر والمغرب.

مصر وكورها

ومن خرج من فلسطين مغربا يريد مصر خرج من الرملة إلى مدينة يبناثم إلى مدينة عسقلان، وهي على ساحل البحر، ثم إلى مدينة غزة وهي على الساحل أيضا، ثم إلى رفح وهي آخر أعمال الشأم، ثم إلى موضع يقال له الشجرتين وهي أول حد مصر، ثم إلى العريش وهي أول مسالح مصر وأعمالها، ويسكن العريش قوم من جذام وغيرهم وهي قرية على ساحل البحر، ومن العريش إلى قرية يقال لها البقارة، ومنها إلى قرية يقال لها الورادة في جبال من رمال، ثم إلى الفرما وهي أول مدن مصر وبها أخلاط من الناس، وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال، ومن الفرما إلى قرية يقال لها جرجير مرحلة، ومنها إلى قرية يقال لها فاقوس مرحلة، ومنها إلى قرية يقال لها غيفة، ثم الفسطاط، وكانت الفسطاط تعرف بباب أليون وهو الموضع المعروف بالقصر، فلما افتتح عمرو ابن العاص باب أليون في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين، اختطت قبائل العرب حول فسطاط عمرو بن العاص فسميت الفسطاط لهذا، ثم اتسعوا في البلد فاختطواعلى النيل، واختطت قبائل العرب في المواضع المنسوبة إلى كل قبيلة، وبنى عمرو بن العاص مسجد جامعها، ودار إمارتها المعروفة بدار الرمل، وجعل الأسواق محيطة بالمسجد الجامع في الجانب الشرقي من النيل، وجعل لكل قبيلة محرساً وعريفاً، وابتنى حصن الجيزة في الجانب الغربي من النيل، وجعله مسلحة للمسلمين، وأسكنه قوما وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه لا تجعل بيني وبين المسلمين ماء. وافتتح عمر كور مصر صلحاً، خلا الإسكندرية، فإنه أقام يحارب أهلها ثلاث سنين، ثم فتحها سنة ثلاث وعشرين، لأنه لم يكن في البلد مدينة تشبهها حصانة وسعة وكثرة عدة.

وكور مصر منسوبة إلى مدنها، لأن لكل كورة مدينة مخصوصة بأمر من الأمور. فمن مدن الصعيد وكورها: مدينة منف وهي مدينة قائمة خراب، يقول أهل مصر: إنها المدينة التي كان فرعون يسكنها. ومدينة بوصير كوريدس، ومدينة دلاص وإليها ينسب اللجم الدلاصية. ومدينة الفيوم وكان يقال في متقدم الأيام مصر والفيوم لجلالة الفيوم، وكثرة عمارتها، وبها القمح الموصوف وبها يعمل الخيش. ومدينة القيس وبها تعمل الثياب القيسية والأكسية الصوف الجياد. ومدينة البهنسا وبها تعمل الستور البهنسية. ومدينة أهناس وبها تعمل الأكسية، وبها شجر اللبخ. ومدينة طحا وبها القمح الموصوف، والكيزان التي يسميها أهل مصر البواقيل. وأنصنا وهي مدينة قديمة يقال إن سحرة فرعون كانوا منها، وإن بها بقية من

السحر، وهي في الجانب الشرقي من النيل. ومدينة الأشمونين وبها فرهة الخيل والدواب والبغال، وهي من مدن مصر العظام. ومدينة أسيوط وهي من عظام مدن الصعيد، بها يعمل الفرش القرمز الذي يشبه الأرمني. وقهقاوة وبها مدينة قديمة يقال لها بوتيج ومدينة يقال لها بشمور وبها القمح اليوسفي المجزع.
ومدينة أخميم وهي في الجانب الشرقي من النيل، ولها ساحل وبها يعمل الفرش القطوع والجلود الأخميمية. والدير المعروف بدير بو شنودة ويقال إن فيه قبر رجلين من حواري المسيح. ومدينة أبشاية يقال لها البلينا. ومن أبشاية تسلك إلى الواحات في مفازة وجبال خشنة ست رحلات، ثم إلى ألواح الخارجة وهي بلاد فيها حصون، ومزارع، وعيون مطردة، ومياه جارية، ونخل وأصناف الشجر، والكروم، ومزدع أرز وغير ذلك. ثم إلى ألواح الداخلة ولها مدينة يقال لها الفرفرون وأهلها أخلاط من الناس من أهل مصر وغيرهم. ومن مدينة أبشاية التي يقال لها مدينة البلينا إلى مدينة هو. ومدينة هو مدينة قديمة كان بها أربع كور: كورة هو، وكورة دندرة من غربي النيل، وكورة فاو، وكورة قنا من الجانب الشرقي، فخربت وقلت عمارتها لكثرة من يخرج إليها في الناحية من الأعراب والخارجين وقطاع الطريق، وانتقل الناس عنها إلى ما هو أعمر منها. ومن مدينة هو إلى مدينة قفط مرحلتان، وهي مدينة في الجانب الشرقي فيها آثار الملوك المتقدمين وبربا، ومن قفط تسلك إلى معادن الزمرذ وهو معدن يقال له: خربة الملك، على ثمان رحلات من مدينة فقط، وفيه جبلان: يقال لأحدهما العروس، وللآخر الخصوم، فيهما معادن الزمرد، وفيه موضع يقال له كوم الصابوني، وكوم مهران، ومكابر، وسفسيد، وكل هذه معادن يوجد فيها الجوهر وتسمى الحفائر، التي يخرج منها الجوهر شيم واحدها شيمة وكان بها معدن قديم يقال له دمرومط، وهو معدن كان في الجاهلية، وكذلك معدن مكابر.
ومن المعدن الذي يقال له خربة الملك إلى جبل صاعد وهو معدن تبر مرحلة، وإلى الموضع الذي يقال له الكلبي، وموضع يقال له الشكري، وموضع يقال له العجلي، وموضع يقال له العلاقي الأدنى، وموضع يقال له الريفة، وهو ساحل بحر خربة الملك، وكل هذه معادن تبر، ومن الخربة إلى معدن يقال له رحم، معدن تبر ثلاث مراحل، وبرحم قوم من بلي وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس، يقصدون للتجارات.
فهذه معادن الجوهر وما يتصل بها من معادن التبر القريبة.
ومن مدينة قفط إلى مدينة الأقصر وهي مدينة قد خربت وصارت مكانها مدينة قوص، وهي على ساحل النيل من الجانب الشرقي من النيل، وكورة أسنا ومدينة أسنا في الجانب الغربي من النيل. ويقال إن أهلها المريس ومنها الحمير المريسية، ثم كورة أتفو، وهي في الجانب الغربي من النيل، وكورة بيبان وهي من الجانب الغربي، ثم مدينة أسوان العظمى، وبها تجار المعادن، وهي في الجانب الشرقي من النيل، وهي ذات نخل كثير، ومزدرع وتجارات، مما يأتي من بلاد النوبة، والبجة، وآخر مدن بلاد الإسلام من هذه الناحية

مدينة في جزيرة في وسط النيل يقال لها بلاق عليها سور حجارة، ثم حد بلاد النوبة بموضع يقال له القصر على مقدار ميل من بلاق.

معادن التبر

ومن أراد المعادن معادن التبر خرج من أسوان إلى موضع يقال له الضيقة بين جبلين، ثم البويب، ثم البيضية، ثم بيت ابن زياد، ثم عذيفر، ثم جبل الأحمر، ثم جبل البياض، ثم قبر أبي مسعود، ثم عفار، ثم وادي العلاقي، وكل هذه المواضع معادن التبر، يقصدها أصحاب المطالب، ووادي العلاقي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس، وأخلاط من العرب والعجم، أصحاب المطالب؛ وبها أسواق وتجارات، وشربهم من آبار تحفر في وادي العلاقي، وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حنيفة، من أهل اليمامة، انتقلوا إليها بالعيالات والذرية. ووادي العلاقي وما حواليه معادن للتبر، وكل ما قرب منه يعتمل فيه الناس، لكل قوم من التجار وغير التجار، عبيد سودان يعملون في الحفر، ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر، ثم يسبك.

ومن العلاقي إلى موضع يقال له وادي الجبل مرحلة، ثم إلى موضع يقال له عنب، ثم إلى موضع يقال له كبان، يجتمع الناس به لطلب التبر، وبه قوم من أهل اليمامة من ربيعة.

ومن العلاقي إلى معدن يقال له بطن واح مرحلة، ومن العلاقي إلى موضع يقال له أعماد مرحلتان، وإلى معدن يقال له ماء الصخرة مرحلة، وإلى معدن يقال له الأخشاب مرحلتان، وإلى معدن يقال له ميزاب تنزله بلي وجهينة أربع مراحل، وإلى معدن يقال له عربة بطحا مرحلتان، ومن العلاقي إلى عيذاب أربع مراحل، وعيذاب ساحل البحر المالح، يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن، ويأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب. ومن العلاقي إلى بركان وهي آخر معادن التبر، التي يصير إليها المسلمون ثلاثون مرحلة. ومن العلاقي إلى موضع يقال له دح ينزله قوم من بني سليم وغيرهم من مضر عشر مراحل، ومن العلاقي إلى معدن يقال له السنطة وبه قوم من مضر وغيرهم عشر مراحل، ومن العلاقي إلى معدن يقال له الرفق عشر مراحل، ومن العلاقي إلى معدن يقال له شختيت عشر مراحل، فهذه المعادن التي يصل إليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر.

بلاد النوبة

فأما من قصد من العلاقي إلى بلاد النوبة الذين يقال لهم علوة، فيسير ثلاثين مرحلة بعضها إلى كبان، ثم إلى موضع يقال له الأبواب، ثم إلى مدينة علوة العظمى، التي تسمى سوبة، وبها يترل ملك علوة.

والمسلمون يختلفون إليها، ومنها يأتي خبر ابتداء النيل، ويقال إن جزيرة علوة متصلة بجزيرة السند، والنيل يجري من وراء علوة إلى أرض السند في النهر الذي يقال له مهران، كما يجري في نيل مصر، ويزيد فيه في وقت زيادته بمصر. وفي الجزيرة التي بأرض علوة، مثل ما بجزائر السند من الفيلة والكركدنات وأشباه ذلك. وفي نهر مهران التماسيح، كما في نيل مصر.

ومن أسوان إلى أول بلاد النوبة الذين يقال لهم مقرا وهو موضع يقال له ماوا، وبهذا الموضع كان زكرياء بن قرقي خليفة أبيه قرقي ملك النوبة، ومن ماوا إلى مدينة النوبة العظمى التي يترلها ملك النوبة وهي سال ودنقلة ثلاثون مرحلة.

بلاد البجة

ومن العلاقي إلى أرض البجة الذين يسمون الحداربة والكدس خمس وعشرون مرحلة، ومدينة ملك البجة الحداربة يقال لها هجر، يأتيها الناس من المسلمين للتجارات. والبجة يترلون خيام جلود، وينتفون لحاهم، ويترعون فلك ثدي الغلمان لئلا يشبه ثديهم ثدي النساء، ويأكلون الذرة وما أشبهها، ويركبون الإبل، ويحاربون عليها كما يحارب على الخيل، ويرمون بالحراب فلا يخطئون. ومن العلاقي إلى أرض البجة الذين يقال لهم الزنافجة خمس وعشرون مرحلة. والمدينة التي يسكنها ملك الزنافجة يقال لها بقلين. وربما صار المسلمون إليها للتجارات، ومذهبهم مثل مذهب الحداربة، وليس لهم شريعة إنما كانوا يعبدون صنماً يسمونه ححاخوا.

فأما مدن مصر التي بأسفل الأرض: فأولها مدينة إتريب: ولها كورة واسعة وبها القرية المعروفة ببنها التي بها العسل الموصوف. ثم مدينة عين شمس: وهي مدينة قديمة، يقال إن بها مساكن لفرعون، وبها آثار عجيبة، وفيها مسلتان شاهقتان عظيمتان من حجارة صلدة، مكتوب عليهما باللسان القديم يقطر من رأس إحداهما ماء، لا يدري ما سببه. ثم مدينة نتو، ومدينة بسطة، ومدينة طرابية، ومدينة قربيط، ومدينة حبان، ومدينة ابليل، هذه التسع المدن تسمى كور الحوف.

ثم مدينة بنا: وهي مدينة جليلة قديمة؛ ومدينة بوصير: وهي نظيرة بنا في العظم والجلالة؛ ومدينة سمنود، ومدينة نوسا، ومدينة الأوسية: وهي مدينة دميرة؛ ومدينة البجوم. وهذه الست المدن في الجانب الشرقي من النيل تسمى كور بطن الريف.

ومدينة سخا، ومدينة تيدة، ومدينة الأفراحون، ومدينة طوه، ومدينة منوف السفلى. وهذه المدن والكور السبع في جزيرة من النيل بين خليج دمياط، وخليج الغرب.

فأما المدن التي على ساحل البحر المالح: فأولها الفرما وهي المدينة القديمة التي تدخل إلى مصر منها. ثم مدينة تنيس يحيط بها البحر الأعظم المالح، وبحيرة يأتي ماؤها من النيل، وهي مدينة قديمة تعمل بها الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق من الدبيقى والقصب والبرود، والمخمل، والوشي، وأصناف الثياب، وبها مرسى المراكب الواردة من الشأم والمغرب. ثم مدينة شطا: وهي على ساحل البحر وبها تعمل الثياب الشروب الشطوية. ثم مدينة دمياط: وهي على ساحل البحر وإليها ينتهي ماء النيل، ثم يفترق من دمياط فيخرج بعضه إلى بحيرة تنيس، وهي بحيرة تجري فيها السفن والمراكب العظام، ويجري باقي ماء النيل إلى البحر المالح؛ وتعمل بدمياط الثياب الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب. وبورة: وهي حصن على ساحل البحر من عمل دمياط، تعمل بها الثياب والقراطيس. ثم حصن نقيزة على ساحل البحر.ثم مدينة البرلس: على ساحل البحر المالح، وهي موضع الرباط. ثم مدينة رشيد: وهي مدينة عامرة آهلة، لها مينا يجري فيه ماء النيل إلى البحر المالح، وتدخله المراكب من البحر حتى تصير في النيل. ومدينة اخنو: وهي على ساحل البحر.

والمدينة يقال له وسيمة: يعمل بها القراطيس. ثم مدينة الإسكندرية العظيمة الجليلة التي لا توصف سعة، وجلالة، وكثر آثار الأولين، ومن عجائب الآثار التي بها المنارة التي على ساحل البحر على فوهة المينا الأعظم وهي منارة متقنة محكمة، طولها مائة وخمس وسبعون ذراعاً، وعليها مواقيد توقد فيها النيران، إذا نظر النواظير إلى مراكب في البحر على مسافة بعيدة، وبها مسلتان من حجارة مجزعة على سرطانات نحاس، وعليهما كتاب قديم وآثارها وعجائبها كثيرة، ولها خليج يدخله الماء العذب من النيل ثم يصب في البحر المالح. وللإسكندرية من الكور مما ليس على ساحل البحر المالح، وهو على ساحل خلجان النيل: كورة البحيرة، وكورة مصيل، وكورة المليدس، وهذه الكور على خليج الإسكندرية الذي يدخل المدينة، وكورة ترنوط، وكورة قرطسا وكورة خربتا، وهي أيضاً على هذا الخليج، وكورة صا، وكورة شباس، وكورة الخير، وكورة البدقون. وقورة الشراك وهذه الكور على خليج من النيل يقال له النسترو.

وللإسكندرية بعد ذلك من الكور كورة مريوط، وهي كورة عامرة ولها كروم وشجر ولها ثمار موصوفة، ثم كورة لوبية، ثم كورة مراقية، وهاتان الكورتان على ساحل البحر المالح يترل أداني قراها قوم من بني

مدلج من كنانة، ويترل أكثرها قوم من البربر وبها قرى وحصون.

افتتحت كور مصر كلها في خلافة عمر بن الخطاب، والأمير عمرو ابن العاص بن وائل السهمي، وبلغ خراج مصر على يد عمرو في خلافة عمر في أول سنة من جزية رؤوس الرجال أربعة عشر ألف ألف دينار، ثم جباها عمرو في السنة الثانية عشرة آلاف ألف؛ فكتب إليه عمر يا خائن؛ وجباها عبد الله ابن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان اثني عشر ألف ألف دينار.

ثم أسلم رجالها فبلغ خراج الأرض في أيام معاوية مع جزية رؤوس الرجال خمسة آلاف ألف دينار. وبلغ في أيام هارون الرشيد أربعة آلاف ألف دينار، ثم وقف مال مصر على ثلاثة آلاف ألف دينار. وشرب مصر وجميع قراها من ماء النيل صيفاً وشتاء، يزيد في أيام الصيف، ويأتي من أرض علوة، مخرجة من عيون، وزيادته من أمطار تأتي في الصيف، فينتشر على وجه الأرض حتى يطبق جميع الأرضين ثم يبتدئ في شهر من شهور القبط يقال له بابه وهو تشرين الأول، فيبتدىء الناس بالعمارة وزرع الغلات، لأن أرض مصر لا تمطر إلا المطر اليسير إلا ما كان منها على السواحل. وعجم مصر جميعاً القبط، فمن كان بالصعيد يسمون المريس، ومن كان بأسفل الأرض يسمون البيما.

طريق مكة من مصر

ومن أراد الحج من مصر وخرج من مصر إلى مكة فأول مترل يقال له جب عميرة، به مجتمع الحاج يوم خروجهم، ثم مترل يقال له القرقرة في صحراء لا ماء بها، ثم مترل يقال له عجرود، به بئر قديمة بعيدة الرشاء، زعقة الماء. ثم إلى جسر القلزم فمن أراد أن يدخل مدينة القلزم: وهي مدينة على ساحل البحر عظيمة فيها التجار الذين يجهزون الميرة من مصر إلى الحجاز وإلى اليمن، وبها مرسى المراكب، وأهلها أخلاط من الناس، تجارها أهل يسار. ومن القلزم يترل الناس في برية وصحراء ست مراحل إلى أيلة ويتزودون الماء لهذه الست المراحل.

ومدينة أيلة: مدينة جليلة على ساحل البحر المالح، وبها يجتمع حاج الشأم، وحاج مصر والمغرب، وبها التجارات الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، وبها قوم يذكرون أنهم موالي عثمان ابن عفان، وبها برد حبرة يقال أنه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال إنه وهبه لرؤبة بن يحنة، لما صار إلى تبوك. ومن إيلة إلى شرف البعل، ومن شرف البعل إلى مدين: وهي مدينة قديمة عامرة، بها العيون الكثيرة، والأنهار المطردة العذبة، والأجنة، والبساتين، والنخل، وأهلها أخلاط من الناس. ومن أراد أن يخرج منها إلى مكة، أخذ على ساحل البحر المالح إلى موضع يقال له عينونا، فيه عمارة ونخل، وبه مطالب يطلب الناس فيها

الذهب، ثم إلى العونيد وهي مثلها، ثم إلى الصلا، ثم إلى النبك، ثم إلى القصيبة، ثم إلى البحرة، ثم إلى المغيثة وهي تبعل، ثم إلى ظبة، ثم إلى الوجه، ثم إلى منخوس وبمنخوس غاصة يخرجون اللؤلؤ، ثم إلى الحوراء، ثم إلى الجار، ثم إلى الجحفة، ثم إلى قديد، ثم إلى عسفان، ثم إلى بطن مر.

ومن أراد أن يسلك على طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ من مدين إلى مترل يقال له أغراء، ثم إلى قالس، ثم إلى شغب، ثم إلى بداً، ثم إلى السقيا، ثم إلى ذي المروة، ثم إلى ذي خشب، ثم إلى المدينة. فهذه المنازل من مصر إلى مكة والمدينة.

المغرب

فأما من أراد أن يسلك من مصر إلى برقة وأقاصي المغرب، نفذ من الفسطاط في الجانب الغربي من النيل، حتى يأتي ترنوط، ثم يصير إلى مترل يعرف بالمنى، قد أقفر أهله، ثم إلى الدير الكبير المعروف ببومينا، وفيه الكنيسة الموصوفة، العجيبة البناء، الكثيرة الرخام؛ ثم إلى المترل المعروف بذات الحمام، وفيه مسجد جامع وهو من عمل كورة الإسكندرية؛ ثم يصير في منازل لبني مدلج في البرية، بعضها على الساحل، وبعضها بالقرب من الساحل، منها المترل المعروف بالطاحونة، والمترل المعروف بالكنائس، والمترل المعروف بجب العوسج. ثم يصير في عمل لوبية وهي كورة تجري مجرى كور الإسكندرية، منها مترل يعرف بمترل معن، ثم المترل المعروف بقصر الشماس؛ ثم خربة القوم؛ ثم الرمادة وهي أول منازل البربر، يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم، وبها قوم من العرب من بلي وجهينة وبني مدلج وأخلاط. ثم يصير إلى العقبة، وهي على ساحل البحر المالح، صعبة المسلك، حزنة خشنة مخوفة، فإذا علاها صار إلى مترل يعرف بالقصر الأبيض، ثم مغاير رقيم، ثم قصور الروم، ثم جب الرمل، وهذه ديار البربر من ماصلة بن لواتة وأخلاط من الناس. ثم يصير إلى وادي مخيل وهو مترل كالمدينة، به المسجد الجامع، وبرك الماء، وأسواق قائمة، وحصن حصين، وفيه أخلاط من الناس، وأكثرهم البربر من ماصلة، وزنارة، ومصعوبة، ومراوة، وفطيطة. ومن وادي مخيل إلى مدينة برقة ثلاث مراحل في ديار البربر، مراوة، ومفرطة ومصعوبة، وزكودة وغيرهم من بطون لواتة.

برقة

ومدينة برقة في مرج واسع وتربة حمراء شديدة الحمرة، وهي مدينة عليها سور، وأبواب حديد، وخندق؛ أمر ببناء السور المتوكل على الله.

وشرب أهلها ماء الأمطار، يأتي من الجبل في أودية إلى برك عظام، قد عملتها الخلفاء والأمراء، لشرب

أهل مدينة برقة. وحوالي المدينة أرباض لها يسكنها الجند وغير الجند، وفي دور المدينة والأرباض أخلاط من الناس، وأكثر من بها جند قدم، قد صار لهم الأولاد والأعقاب.

وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة أميال، وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها أجية، بها أسواق، ومحارس، ومسجد جامع، وأجنة، ومزارع، وثمار كثيرة. وساحل آخر يقال له طلميثة، ترسي المراكب فيه في بعض الأوقات. ولبرقة جبلان: أحدهما يقال له الشرقي فيه قوم من العرب من الأزد، ولخم، وجذام، وصدف، وغيرهم من أهل اليمن. والآخر يقال له الغربي فيه قوم من غسان، وقوم من جذام، والأزد، وتجيب، وغيرهم من بطون العرب، وقرى بطون البربر من لواتة من زكودة، ومفرطة، وزنارة، وفي هذين الجبلين عيون جارية، وأشجار، وثمار، وحصون، وآبار للروم قديمة.

ولبرقة أقاليم كثيرة تسكنها هذه البطون من البربر، ولها من المدن: برنيق: وهي مدينة على ساحل البحر المالح، ولها ميناء عجيب في الاتفاق والجودة، تحوز فيه المراكب، وأهلها قوم من أبناء الروم القدم، الذين كانوا أهلها قديماً، وقوم من البربر من تحلالة، وسوة، ومسوسة، ومغاغة، وواهلة، وجدانة. وبرنيق من مدينة برقة على مرحلتين، ولها أقاليم منسوبة إليها. ومدينة أجدابية: وهي مدينة عليها حصن، وفيها مسجد جامع، وأسواق قائمة، من برنيق إليها مرحلتان، ومن برقة إليها أربع مراحل، وأهلها قوم من البربر، من زنارة، وواهلة، ومسوسة، وسوة، وتحلالة وغيرهم وجدانة وهم الغالبون عليها، ولها أقاليم، وساحل على البحر المالح، على مقدار ستة أميال من المدينة، ترسي به المراكب، وهي آخر ديار لواتة من المدن. وبطون لواتة يقولون: إنهم من ولد لواتة بن بر بن قيس عيلان، وبعضهم يقول: إنهم قوم من لخم، كان أولهم من أهل الشأم، فنقلوا إلى هذه الديار، وبعضهم يقول: إنهم من الروم.

سرت

ومن مدينة أجدابية إلى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل: مرحلة منها من ديار لواتة، وفيهم قوم من مزاتة، وهم الغالبون عليها، منها الفاروج، وقصر العطش، واليهودية، وقصر العبادي، ومدينة سرت. وأهل هذه المنازل وأهل مدينة سرت من منداسة، ومحنحا، ومنطاس وغيرهم، وآخر منازلهم على مرحلتين من مدينة سرت، بموضع يقال له تورغة، وهو آخر حد برقة ومزاتة كلها اباضية على أنهم لا يفقهون ولا لهم دين.

وخراج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه بمولى له يقال بشار، فوزع خراج الأرض بأربعة وعشرين ألف دينار، على كل ضيعة شيء معلوم سوى الأعشار والصدقات الجوالي، ومبلغ الأعشار والصداقات

والجوالي خمسة عشر ألف دينار، ربما زاد، وربما نقص، والأعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قرى مقراة. ولبرقة عمل يقال له أوجلة، وهو في مفازة مغرب لمن أراد الخروج إليها ينحرف إلى القبلة، ثم يصير إلى مدينتين يقال لأحداهما جالو، وللأخرى ودان. ولهما النخل والتمر والقسب الذي لا شيء أجود منه، وأرض ودان لآنقهما.

ودان

ومن أعمال برقة المضافة كانت إليها ودان، وهو بلد يؤتى من مفازة، وهو مما يضاف إلى عمل سرت. ومن مدينة سرت إليه مما يلي القبلة خمس مراحل. وبه قوم مسلمون، يدعون أنهم عرب من يمن، وأكثرهم من مزاتة، وهم الغالبون عليه، وأكثر ما يحمل منه التمر، فإن به أصناف التمرو، وإنما يتولاه رجل من أهله، وليس له خراج.

زويلة

ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة، وهم قوم مسلمون أباضية كلهم. يحجون البيت الحرام وأكثرهم رواية، ويخرجون الرقيق السودان من الميريين، والزغاويين، والمرويين، وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم، وهم يسبوهم. وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء ولا حرب. ومن زويلة الجلود الزويلية، وهي أرض نخل، ومزدرع ذرة وغيرها، وبها أخلاط من أهل خراسان، ومن البصرة، والكوفة.

ووراء زويلة على خمس عشرة مرحلة مدينة يقال لها كوار، بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء، أكثرهم بربر، وهم يأتون بالسودان. وبين زويلة ومدينة كوار وما يلي زويلة إلى طريق أوجلة وأجدابية قوم يقال لهم لمطة، أشبه شيء بالبربر، وهم أصحاب الدرق اللمطية البيض.

فزان

وجنس يعرف بفزان، أخلاط من الناس، لهم رئيس يطاع فيهم، وبلد واسع، ومدينة عظيمة، وبينهم وبين مزاتة حرب لاقح أبداً.

وتسمى برقة أنطابلس، هذا اسمها القديم، افتتحها عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرين صلحاً. ومن آخر عمل برقة من الموضع الذي يقال له تورغة إلى أطرابلس ست مراحل، وينقطع ديار مزاتة من تورغة

ويصير في ديار هوارة، فأول ذلك ورداسة، ثم لبدة وهي حصن كالمدينة على ساحل البحر، وهوارة يزعمون أهم من البربر القدم، وأن مزاتة ولواتة كانوا منهم فانقطعوا عنهم، وفارقوا ديارهم، وصاروا إلى أرض برقة وغيرهم. وتزعم هوارة أهم قوم من اليمن، جهلوا أنساهم. وبطون هوارة يتناسبون كما تتناسب العرب، فمنهم بنو اللهان، ومليلة وورسطفة. فبطون اللهان بنو درما، وبنو مرمزبان، وبنو ورفلة، وبنو مسر اتة، ومنازل هوارة من آخر عمل سرت إلى أطرابلس.

أطرابلس

أطرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة، وأهلها أخلاط من الناس. افتتحها عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب، وكانت آخر ما افتتح من المغرب في خلافة عمر. ومن أطرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن، أباضية كلهم، لهم رئيس يقال له ألياس، لا يخرجون عن أمره؛ ومنازلهم في جبال أطرابلس، في ضياع، وقرى، ومزارع، وعمارات كثيرة؛ لا يؤدون خراجاً إلى سلطان، ولا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتاهرت، وهو رئيس الأباضية، يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فارسي. وديار نفوسة متصلة من حد بطرابلس مما يلي القبلة إلى قريب من القيروان، ولهم قبائل كثيرة، وبطون شتى. ومن أطرابلس على الجادة العظمى إلى مدينة يقال لها قابس- عظيمة على البحر المالح، عامرة كثيرة الأشجار، الثمار، والعيون الجارية، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، والبربر، وبها عامل من قبل ابن الأغلب صاحب أفريقية- خمس مراحل عامرة، يسكنها قوم من البربر من زناتة، ولواتة، والأفارقة الأول. فأولها ويله أول مرحلة من أطرابلس، ثم صبرة وهي منزل بها أصنام حجارة قديمة، ثم قصر بني حبان، ثم بام وهي، ثم الفاصلات، ثم قابس.

القيروان

ومن قابس إلى مدينة القيروان أربع مراحل: أولها عين الزيتونة، غير آهلة، ثم للس قصر فيه عمارة، ثم غدير الأعرابي، ثم قلشانة. وهي موضع المعرس لمن خرج من القيروان وقدم إليها، ثم مدينة القيروان العظمى التي اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة ستين، في خلافة معاوية، وكان عقبة الذي افتتح اكثر المغرب؛ على أن أول من دخل ارض أفريقية وافتتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان ابن عفان سنة ست وثلاثين.

والقيروان مدينة كان عليها سور من لبن وطين، فهدمه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، لما ثار عليه عمران بن مجالد وعبد السلام بن المفرج ومنصور الطنبذي، فإنهم ثاروا عليه بالقيروان، وهم من الجند

القدم الذين كانوا قدموا مع ابن الأشعث. وشربهم من ماء المطر إذا كان الشتاء، ووقعت الأمطار والسيول، دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام، يقال لها المؤاجل؛ فمنها شرب السقاة، ولهم وادٍ يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة، يأتي فيه ماء مالح، لأنه في سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه. ومنازل بني الأغلب على ميلين من مدينة القيروان في قصور قد بني عليها عدة حيطان، لم تزل منازلهم حتى تحول عنها إبراهيم بن أحمد، فنزل بموضع يقال له الرقادة على ثمانية أميال من مدينة القيروان، وبنى هناك قصراً.

وفي مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش، ومن سائر بطون العرب، من مضر، وربيعة، وقحطان، وبها أصناف من العجم، من أهل خراسان، ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند، وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك.

ومن القيروان إلى سوسة وهي على ساحل البحر المالح مرحلة، وبها دار صناعة، تعمل فيها المراكب البحرية وتردها المراكب. وأهل سوسة أخلاط من الناس.

ومن القيروان إلى الموضع الذي يقال له الجزيرة مرحلة، وهي جزيرة أبي شريك، موغلة في البحر، يحيط بها ماء البحر، كثيرة التجارة، وفيها قوم من رهط عمر بن الخطاب، وسائر بطون العرب والعجم، ولها عدة مدن ليست بالعظام، يتفرق فيها الناس، وعاملها ينزل مدينة يقال لها النواتية، وبالقرب من اقليبية التي يركب منها إلى سقلية.

ومن القيروان إلى مدينة بسفوطره مرحلتان خفيفتان، وهي مدينة كبيرة فيها قوم من قريش، ومن قضاعة وغيرهم.

ومن القيروان إلى مدينة تونس وهي على ساحل البحر، وبها دار صناعة، وهي مدينة عظيمة، منها كان حماد البربري مولى هارون الرشيد، وهو صاحب اليمن. وكان على تونس سور من لبن وطين، وكان سورها مما يلي البحر بالحجارة، فخالف أهلها على زيادة الله بن الأغلب، وكان منهم منصور الطنبذي، وحصين التجيبي، والقريع البلوي، فحاربهم فلما ظهر عليهم هدم سور المدينة، بعد أن قتل فيهم خلقاً عظيماً. ومن ساحل تونس يعبر إلى جزيرة الأندلس، وقد ذكرنا جزيرة الأندلس وأحوالها عن ذكرنا تاهرت.

ومن القيروان إلى مدينة باجة ثلاث مراحل، ومدينة باجة مدينة كبيرة، عليها سور حجارة قديم، وبها قوم من جند بني هاشم القدم، وقوم من العجم، ويلي مدينة باجة قوم من البربر، يقال لهم وزداجة، ممتنعين لا يؤدون إلى ابن الأغلب طاعة.

ومن القيروان إلى مدينة الأربس مرحلتان، وهي مدينة كبيرة عامرة بها أخلاط من الناس. ومن القيروان إلى مدينة يقال لها مجانة أربع مراحل، وبهذه المدينة معادن الفضة، والكحل، والحديد، والمرتك، والرصاص بين جبال وشعاب؛ وأهلها قوم يقال لهم السناجرة، يقال إن أولهم من سنجار من ديار ربيعة، وهو جند للسلطان، وبها أصناف من العجم من البربر وغيرهم.

ومن القيروان مما يلي القبلة إلى بلاد قمودة، وهو بلد واسع فيه مدن وحصون، والمدينة التي يترلها العامل في هذا الوقت مذكورة، والمدينة القديمة العظمى هي التي يقال لها سبيطلة، وهي التي افتتحت في أيام عثمان بن عفان، وحصرها عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وأمير الجيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة سبع وثلاثين.

ومن بلد قمودة إلى مدينة قفصة، وهي مدينة حصينة، عليها سور حجارة، وفيها عيون ماء داخل المدينة، وهي مفروشة بالبلاط، وحولها عمارة كثيرة، وثمار موصوفة.

ومن قفصة إلى مدائن قسطيلية؛ وهي أربع مدائن في أرض واسعة، لها النخل والزيتون. فالمدينة العظمى يقال لها توزر، وبها يترل العمال. والثانية يقال لها الحامة. والثالثة تقيوس. والرابعة نفطة. وحول هذه المدن أربع سباخ، وأهل هذه المدن قوم عجم من الروم القدم، والأفارقة، والبربر.

ومن مدائن قسطيلية إلى مدائن نفزاوة ثلاث مراحل، ونفزاوة عدة مدن: فالمدينة العظمى التي يترلها العمال يقال لها بشرة، وبها قوم من الأفارقة العجم، ومن البربر، يحيط بالمدائن التي تلي القبلة الرمال. ومما يلي القبلة من القيروان بلد يقال له الساحل، ليس بساحل بحر، كثير السواد من الزيتون، والشجر، والكروم، وهي قرى متصلة بعضها في بعض كثيرة، ولهذا البلد مدينتان يقال لأحداهما سنه، وللأخرى قبيشة. ومن بلد الساحل إلى مدينة يقال لها أسفاقس يكون من سنه وقبيشة على مرحلتين، وهي على ساحل البحر يضرب البحر المالح سورها، وهي آخر بلد الساحل.

ومن أسفاقس إلى موضع يقال له بتررت مسيرة ثمانية أيام، وفي جميع المراحل حصون متقاربة يترلها العباد والمرابطون.

ومن القيروان إلى بلاد الزاب عشر مراحل، ومدينة الزاب العظمى طبنة، وهي التي يترلها الولاة، وبها أخلاط من قريش، والعرب، والجند، والعجم، والأفارقة، والروم، والبربر. والزاب بلد واسع، فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية، بها قبائل من الجند، وعجم من أهل خراسان، وعجم من عجم البلد من بقايا الروم، حولها قوم من البربر من هوارة، بجبل جليل يقال له أوراس، يقع عليه الثلج. ومدينة يقال لها تيجس من عمل باغاية، حولها قوم بربر عجم يقال لها نفزة. ومدينة عظيمة جليلة، يقال لها ميلة، عامرة محصنة، لم

يلها والٍ قط، ولها حصن دون حصن، فيه رجل من بني سليم، يقال له موسى بن العباس ابن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب؛ وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة ولها مرسى يقال له جيجل ومرسى يقال له قلعة خطاب، ومرسى يقال له أسكيدة، ومرسى يقال له مابر، ومرسى يقال له مرسى دهاجة، وهذا البلد كله عامر، كثير الاشجار والثمار، وهم في جبال وعيون. ومدينة يقال لها سطيف، بها قوم من بني أسد بن خزيمة، عمال من قبل ابن الأغلب. ومدينة يقال لها بلزمة، أهلها قوم من بني تميم، وموالى لبني تميم، وقد خالفوا على ابن الأغلب في هذا الوقت. ومدينة يقال لها نقاوس، كثيرة العمارة، والشجر، والثمر، بها قوم من الجند، وحواليها البربر من مكنانة، بطن من زناتة، وحولهم قوم يقال لهم أوربة. وطبنة مدينة الزاب العظمى، وهي في وسط الزاب، وبها يترل الولاة. ومدينة يقال لها مقرة، لها حصون كثيرة. والمدينة العظمى مقرة أهلها قوم من بني ضبة، وبها قوم من العجم، وحولها قوم من البربر، يقال لهم بنو زنداج، وقوم يقال لهم كربره، وقوم يقال لهم سارنبه، ومنها إلى حصون تسمى برحلس وطلمة وحرور بها قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة، خالفوا على ابن الأغلب، وظفر ابن الأغلب ببعضهم فحبسهم. ومدينة احه، وهي على الجبل، وخالف أهلها على ابن الأغلب، وكان من خلفه قوم من هوارة، يقال لهم بنو سمعان، وبنو ورجيل وغيرهم. ومدينة أربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب، و لم يتجاوزها الممودة.

وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغرباً، صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال، وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم.

وقد ذكرنا فتح أفريقية وأخبارها في كتاب أفردناه.

ومن هذا الموضع البلد الذي تغلب عليه الحسن بن سليمان ابن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عم ، وأول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز، سكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنو يرنيان من زناتة أيضاً، ثم مدن بعد ذلك سكانها صنهاجة، وزواوة، يعرفون بالبرانس، وهم أصحاب عمارة، وزرع، وضرع، وإلى هاز ينسب البلد، وبينها وبين عمل أدنة مسير ثلاثة أيام، ثم إلى قوم يقال لهم بنو دمر من زناتة في بلد واسع، وهم شراة كلهم، عليهم رئيس منهم يقال له مصادف بن جرتيل في بلد زرع، ومواشٍ، بينه وبين هاز مرحلة، ومنها إلى حصن يقال له حصن ابن كرام وليس أهله بشراة، ولكنهم جماعية، بلدهم بلد زرع. ثم يصير إلى بلد يقال له متيجة، تغلب فيه رجال من ولد الحسن ابن علي بن أبي طالب عم يقال لهم بنو محمد بن جعفر، وهو بلد واسع فيه عدة مدن وحصون، وهو بلد زرع، وعمارة، بين هذا البلد وبين حصن مصادف بن جرتيل، مسيرة ثلاثة أيام مما يلي البحر. ثم مدينة مدكرة، فيها ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عم .

ومدينة الخضراء، ويتصل بهذه مدن كثيرة، وحصون، وقرى، ومزارع، يتغلب على هذا البلد ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عم كل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية، وعددهم كثير حتى إن البلد يعرف بهم، وينسب إليهم، وآخر المدن التي في أيديهم المدينة التي تقرب من ساحل البحر، يقال لها سوق إبراهيم، وهي المدينة المشهورة، فيها رجل يقال له عيسى بن إبراهيم ابن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن. ثم من هذه إلى تاهرت.

والمدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار، عظيمة الأمر، تسمى عراق المغرب، لها أخلاط من الناس، تغلب عليها قوم من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي، وكان عبد الرحمن ابن رستم يتولى أفريقية، وصار ولده إلى تاهرت، فصاروا أباضية، ورأس الأباضية، فهم رؤساء أباضية المغرب ويتصل بمدينة تاهرت بلد عظيم ينسب إلى تاهرت في طاعة محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، والحصن الذي على ساحل البحر الأعظم ترسي به مراكب تاهرت يقال له مرسى فروخ.

جزيرة الأندلس ومدنها

ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس- على ما ذكرنا وهي على ساحل البحر المالح- فركب البحر المالح، يسير فيه مسيرة عشرة أيام مسحلاً غير موغل، حتى يحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس، بينه وبين تاهرت مسيرة أربعة أيام، أو صار إلى تاهرت يوافي الجزيرة، جزيرة الأندلس، فيقطع اللج في يوم وليلة، حتى يصير إلى بلد تدمير، وهو بلد واسع عامر، فيه مدينتان يقال لإحداهما العسكر، وللأخرى لورقة. في كل واحدة منبر، ثم يخرج منها إلى المدينة التي يسكنها المتغلب من بني أمية، وهي مدينة يقال له قرطبة فيسير ستة أيام من هذا الموضع في قرى متصلة، وعمارات، ومروج، وأودية، وأنهار، وعيون، ومزارع، وقبل أن يصير إلى مدينة قرطبة من تدمير يصير إلى مدينة يقال لها البيرة نزلها من كان قدم البلد من جند دمشق من مضر، وجلهم قيس، وأفناء قبائل العرب، بينها وبين قرطبة مسيرة يومين. وغربيها مدينة يقال لها رية نزلها جند الأردن، وهم يمن كلهم، من سائر البطون. وغربي رية مدينة يقال لها شدونة نزلها جند حمص، وأكثرهم يمن، وفيهم من نزار نفر يسير. وغربي شدونة مدينة يقال لها الجزيرة نزلها البربر وأخلاط من العرب قليل. وغربي المدينة التي يقال لها الجزيرة، مدينة يقال لها أشبيلية على نهر عظيم، وهو نهر قرطبة، دخلها المجوس الذين يقال لهم الروس سنة تسع وعشرين ومائتين، فسبوا، ونهبوا، وحرقوا، وقتلوا. وغربي أشبيلية مدينة يقال لها لبلة نزلها العرب أول ما دخل البلد مع

طارق مولى موسى بن نصير اللخمي. وغربيها مدينة يقال لها باجة نزلها العرب أيضاً مع طارق. وغربيها على البحر المالح المحيط مدينة يقال لها الأشبونة. وغربيها على البحر أيضاً مدينة يقال لها أحسونبة وهي الأندلس، في الغرب على البحر الذي يأخذ إلى بحر الخزر. ومما يلي الشرق من هذه المدينة مدينة يقال لها ماردة على نهر عظيم، وبينها وبين قرطبة أربعة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي محاذى أرض الشرك، وجنس منهم يقال لهم الجلالقة، وهي في الجزيرة. ثم يخرج من قرطبة مشرقاً إلى مدينة يقال لها جيان، وبها من كان من جند قنسرين والعواصم، وهم أخلاط من العرب من معد واليمن. ومن جيان ذات الشمال إلى مدينة طليطلة وهي مدينة منيعة جليلة، ليس في الجزيرة مدينة أمنع منها، وأهلها يخالفون على بني أمية، وهم أخلاط من العرب، والبربر، والموالي، ولها نهر عظيم يقال له دوير. ومن طليطلة لمن أخذ مشرقاً إلى مدينة يقال لها وادي الحجارة، كان عليها رجل من البربر، يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي. يتولاها يدعو لبني أمية، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد. ثم منها مشرقاً إلى مدينة سرقصطة، وهي من أعظم مدائن ثغر الأندلس، على نهر يقال له أبره. وذات الشمال منها مدينة يقال لها تطيلة، محاذية لأرض الشرك، الذين يقال لهم البسكنس. وذات الشمال من هذه المدينة مدينة يقال لها وشقة، وهي محادة من الأفرنج لجنس يقال لهم الجاسقس. ومن سرقصطة إلى القبلة مدينة يقال لها طرطوشة، وهي آخر ثغر الأندلس في الشرق، محادة للإفرنجيين، وهي على هذا النهر المنحدر من سرقصطة. ومن طرطوشة لمن أخذ مغربا إلى بلد يقال له بلنسية، وهو بلد واسع جليل، نزله قبائل البربر، ولم يعطوا بني أمية الطاعة، ولهم نهر عظيم ببلد يقال له الشقر. ومنها إلى بلد تدمير البلد الأول فهذه جزيرة الأندلس ومدنها.

رجعنا إلى ذكر تاهرت في معظم طريق المغرب

ومن مدينة تاهرت وما يحوز عمل ابن أفلح الرستمي إلى مملكة رجل من هوارة: يقال له ابن مسالة الأباضي، إلا أنه مخالف لابن أفلح، يحاربه، ومدينته التي يسكنها يقال لها الجبل منها إلى مدينة يقال لها يلل تقرب من البحر المالح، مسيرة نصف يوم، ولها مزارع، وقرى، وعمارات، وزرع، واشجار. ثم من مملكة ابن مسالة الهواري إلى مملكة لبني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن أيضاً، سوى المملكة التي ذكرناها، وهي مدينة مدكرة، ومسكنهم في المدينة العظمى التي يقال لها ثمطلاس، وأهل هذه المملكة قوم من بطون البربر، من سائر قبائلهم، وأكثرهم قوم يقال لهم بنو مطماطة، وهم بطون كثيرة؛ ولهم في مملكتهم مدينة عظيمة يقال لها ايزرج، بها بعضهم وأهل هذه المدينة مطماطة. ومدينة أيضاً يملكها رجل

منهم يقال له عبيد الله تسمى المدينة الحسنة إذا فسرت من لسان البربر بالعربية. ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب، التي يقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة، وخلفه سور آخر حجارة، وبها خلق عظيم، وقصور، ومنازل مشيدة، ينزلها رجل منهم يقال له محمد ابن القاسم بن محمد بن سليمان، وحول هذه المدينة قوم من البربر، يقال لهم مكناسة وسربية ثم إلى المدينة التي تسمى مدينة العلويين كانت في أيدي العلويين، من ولد محمد بن سليمان، ثم تركوها، فسكنها رجل من أبناء ملوك زناتة، يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي. ثم منها إلى مدينة يقال له نمالتة، فيها محمد بن علي ابن محمد بن سليمان، وآخر مملكة بني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مدينة فالوسن، وهي مدينة عظيمة، أهلها بطون البربر من مطماطة، وترجة، وجزولة، وصنهاجة، وأنجفة، وابجره. ثم بعد مملكة بني محمد بن سليمان مملكة رجل يقال له صالح بن سعيد، يدعي أنه من حمير، وأهل البلد يزعمون أنه من أهل البلد نفزي؛ واسم مدينته العظمى التي ينزلها ناكور وهي على البحر المالح. ومن هذه المدينة جاز رجل ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ومن معه من آل مروان إلى جزيرة الأندلس، لما هربوا من بني العباس، ومملكة صالح بن سعيد الحميري مسيرة عشرة أيام في عمارات، وحصون، وقرى، ومنازل، وزرع، وضرع، وخصب؛ وآخر مملكته مدينة يقال لها مرحانة على جبل تحتها أنهار وأودية وعمارات. ثم يصير منها إلى مملكة بني إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عم ، وأول حد مملكتهم بلد يقال له غميرة، بها رجل يقال له عبيد الله بن عمر ابن إدريس. ثم إلى بلد يقال له ملحاص لخانة عنده يجتمع فيها حاج السوس الأقصى وطنجة، ويملكه علي بن عمر بن إدريس. ثم قلعة صدينة وهو بلد عظيم به محمد بن عمر بن إدريس. ثم من قلعة صدينة إلى النهر العظيم الذي يقال له لمهارنة، حصون وعمارات، وبلد واسع عليه رجل من ولد داود بن إدريس بن إدريس، وإلى نهر يقال له سبو عليه حمزة بن داود ابن إدريس بن إدريس، ثم يدخل إلى المدينة العظمى التي يقال لها مدينة أفريقيا على النهر العظيم، الذي يقال له فاس، بها يحيى بن يحيى بن إدريس بن إدريس، وهي مدينة جليلة، كثيرة العمارة، والمنازل.

ومن الجانب الغربي من نهر فاس وهو نهر يقال إنه أعظم من جميع أنهار الأرض، عليه ثلاثة آلاف رحاً، تطحن المدينة التي تسمى مدينة أهل الأندلس، ينزلها داود ابن إدريس، وكل واحد من يحيى بن يحيى وداود ابن إدريس يخالف على صاحبه، يدافعه ويحاربه. وعلى طرف فاس مدينة يقال لها... تسكنها برقسانة، قوم من البربر القدم. وعلى نهر فاس عمارات جليلة، وقرى، وضياع، ومزارع من حافتيه، يأتي ماؤه من عيون قبلية، إلا أنهم يقولون إنه لا يزيد ولا ينقص، ويغيض في النهر الذي يقال له سبو، وقد ذكرناه، ويفرغ سبو في البحر المالح، ومملكة بني إدريس واسعة كبيرة.

حدثني أبو معبد عبد الرحمن بن محمد ابن ميمون بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم التاهرتي قال: تاهرت مدينة كبيرة، آهلة بين جبال وأودية، ليس لها فضاء، بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات، في مستوى من الأرض، وفي بعضها سباخ، ووادٍ يقال له وادي شلف، وعليه قرى وعمارة، يفيض كما يفيض نيل مصر، يزرع عليه العصفر، والكتان، والسمسم، وغير ذلك من الحبوب؛ ويصير إلى جبل يقال له أنقبق، ثم يخرج إلى بلد نفزة، ثم يصير إلى البحر المالح. وشرب أهل مدينة تاهرت من أنهار وعيون، يأتي بعضها من صحراء، وبعضها من جبل قبلي. يقال له جزول. لم يجذب زرع ذلك البلد قط، إلا أن يصيبه ريح أو برد. وهو جبل متصل بالسوس، يسميه أهل السوس درن، ويسمى بتاهرت جزول، ويسمى بالزاب أوراس.

ومن خرج من تاهرت سالك الطريق بين القبلة والغرب، سار إلى مدينة يقال لها أوزكا ثلاث مراحل، والغالب عليها فخذ من زناتة يقال لهم بنو مسرة، رئيسهم عبد الرحمن بن أودموت بن سنان، وصار بعده ولده، فانتقل ابن له يقال له زيد إلى موضع يقال له ثاربينة فولده به. ومن مدينة أوزكا لمن سلك مغرباً إلى أرض لزناتة، ثم يصير إلى مدينة سجلماسة، بعد أن يسير سبع مراحل أو نحوها، على حسب الجد في المسير والتقصير، ومسيره في قرى ليست بآهلة، وفي بعضها مفازة.

سجلماسة

وسجلماسة مدينة على نهر يقال له زير، وليس بها عين، ولا بئر. وبينها وبين البحر عدة مراحل، وأهل سجلماسة أخلاط، والغالبون عليها البربر، وأكثرهم صنهاجة، وزرعهم الدخن، والذرة، وزرعهم على الأمطار، لقلة المياه عندهم؛ فإن لم يمطروا لم يكن لهم زرع.

ومن مدينة سجلماسة قرى تعرف ببني درعة، وفيها مدينة ليست بالكبيرة تامدلت ليحيى بن إدريس العلوي، عليها حصن، كان منها عبد الله ابن إدريس. وحولها معادن ذهب وفضة. يوجد كالنبات، ويقال إن الرياح تسفيه. والغالب عليهم قوم من البربر يقال لهم بنو ترجا.

السوس الأقصى

ومن المدينة التي يقال لها تامدلت إلى مدينة يقال لها السوس- وهي السوس الأقصى- نزلها بنو عبد الله بن إدريس بن إدريس، وأهلها أخلاط من البربر، والغالب عليهم مداسة. ومن السوس إلى بلد يقال له أغمات، وهو بلد خصب فيه مرعى ومزارع في سهل وجبل، وأهله قوم من البربر من صنهاجة. ومن

أغمات إلى ماسة، وماسة قرية على البحر، تحمل إليها التجارات، وفيها المسجد المعروف بمسجد بهلول، وفيه الرباط على ساحل البحر، ويلقى البحر عند مسجد بهلول المراكب الخيطية، التي تعمل بالأبلة، التي يركب فيها إلى الصين.

ومن سجلماسة لمن سلك متوجهاً إلى القبلة، يريد أرض السودان- من سائر بطون السودان- يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية، من صنهاجة، في صحراء ليس لهم قرار شأنهم كلهم أن يتلثموا بعمائمهم، سنة فيهم، ولا يلبسون قمصاً، إنما يتشحون بثيابهم، ومعاشهم من الإبل، ليس لهم زرع، ولا طعام، ثم يصير إلى بلد يقال له غسط، وهو وادٍ عامر، فيه المنازل وفيه ملك لهم لا دين له، ولا شريعة، يغزو بلاد السودان وممالكهم كثيرة.

تم كتاب البلدان، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، النبي وآله الطاهرين، كتبه عليّ بن أبي محمد بن علي الكندي الأنماطي، غفر الله له، ولما قال أمين، والحمد الله كفى أفضاله وصلواته على محمد وآله. ووافق فراغه في صبيحة يوم السبت الحادي والعشرين من شوال سنة سبع وستمائة، تأليف أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب.

الفهرس